رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2365) السنة التاسعة
الإثنين (16) كانون الثاني 2012

14

زكي مبارك: بعض ما رأيت في العراق

صورة لساحة حافظ القاضي في بغداد في الخمسينيات

من تاريخ التلفزيون في العراق

بابل وبرجها

د. فرج بصمه جي

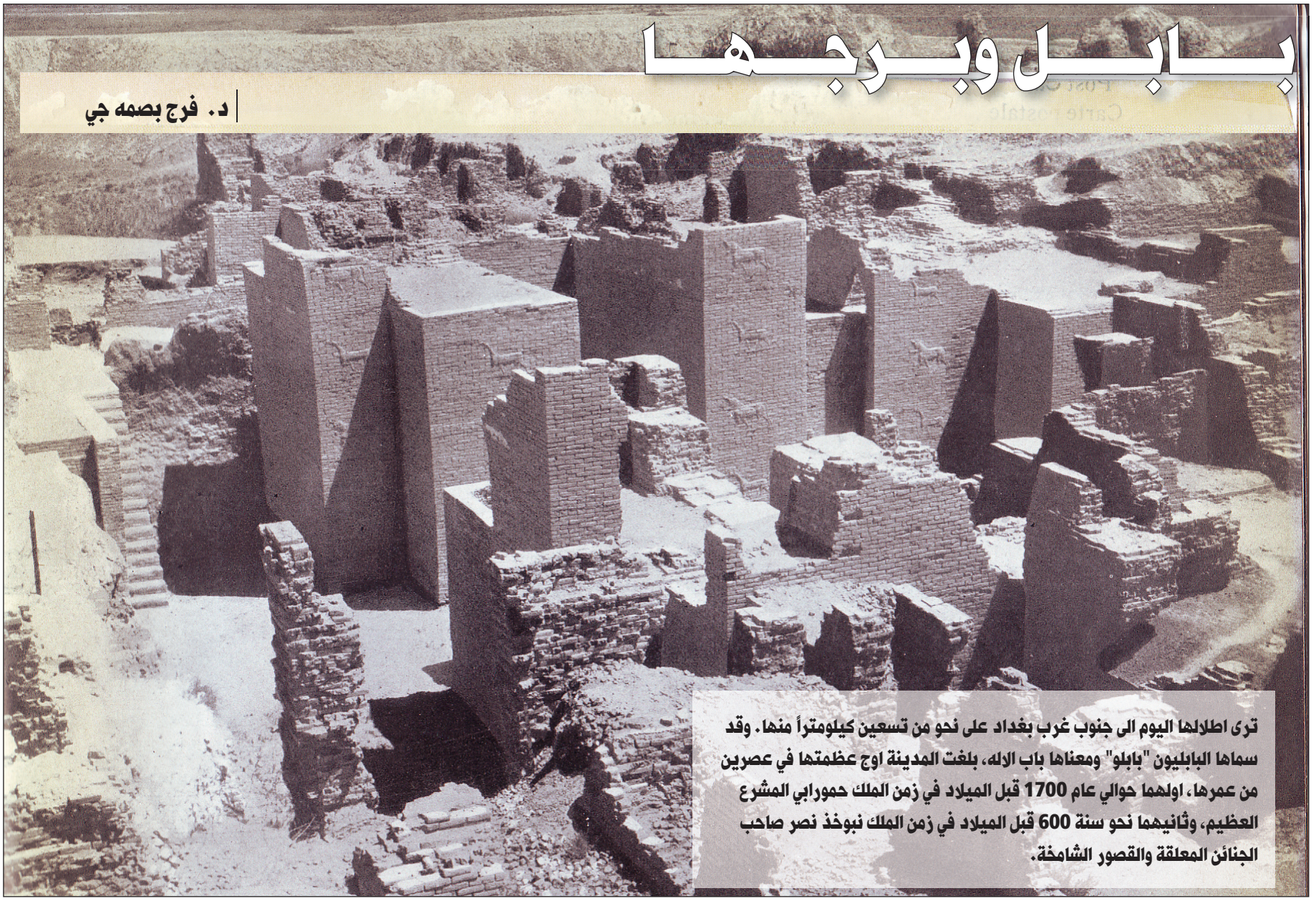

ترى اطلالها اليوم الى جنوب غرب بغداد على نحو من تسعين كيلومتراً منها. وقد سماها البابليون "بابلو" ومعناها باب الاله، بلغت المدينة اوج عظمتها في عصرين من عمرها، اولهما حوالي عام 1700 قبل الميلاد في زمن الملك حمورابي المشرع العظيم، وثانيهما نحو سنة 600 قبل الميلاد في زمن الملك نبوخذ نصر صاحب الجنائن المعلقة والقصور الشامخة.

تحرى المنقبون الالمان اطلال مدينة بابل منذ مطلع القرن العشرين حتى بداية الحرب العالمية الاولى، وتتبعوا معالم الحضارة العالمية القديمة فيها وعثروا بين طياتها على صنوف الاثار من تماثيل وكتابات ونقوش وكشفوا عن بقايا معابد وقصور فخمة، وما زال بعض بقايا مباني هذه المدينة حتى يومها هذا يؤمه الزائرون والسياح ومن ذلك باب عشتار ذو النقوش البارزة بالاجر البسيط والمزجج واسد بابل وغير ذلك.

وصف هير ودوتس المؤرخ اليوناني في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد مدينة بابل وكانت انذاك تحت الحكم الاخميني – الفارسي، وذكر مبانيها العظيمة ومعابدها المزدانة بالنقوش والتماثيل المحلاة بالذهب والفضة واللازورد، واثنى على جناتها المعلقة وهي تعد احدى عجائب الدنيا السبع. ولما زار سترابو الجغرافي اليوناني الشهير مدينة بابل وكان ذلك بعد الميلاد بزمن وجيز وجدها خرائب متداعية وقد هجرها اغلب اهلها حيث تضاءل شأنها وخبا مجدها خلال الحكم الساساني ثم في ايام العرب من بعدهم، وان كان بعض المؤلفين العرب كابن حوقل والقزويني والبكري وابي الغداء قد اشاروا اليها في كتاباتهم. وقد تناولتها الالسن وتناولتها الكتب المقدسة وبحث عنها الرحالة في القرون الوسطى وما بعد ذلك، واقدمهم بنيامين الطليطلي الاندلسي وقد زار هذه البلاد في اواسط القرن الثاني عشر للميلاد وهم نرس نمرود (بورسيبا) الواقعة غرب الحلة فجعلها بابل لوجود برج شاهق فيها وتابعه في هذا الوهم غير واحد من الرحالة الذين جاؤا من بعده بل ان بعضهم من تل عقرقوف الواقع غرب بغداد بقايا مدينة بابل.

وفي سنة ١٧٦٥ علم نيبور الرحالة الدانماركي ان الخرائب الكائنة في شرق الحلة انما هي بقايا بابل، ثم اخذت البعثات الاوروبية تتوافد الى الشرق للحفر واستخراج الاثار القديمة منه فاصاب بابل كثير من النبش والتخريب.

وقد عنيت بعثة انكليزية برسم بعض معالم المدينة، وفي سنة ١٨٩٦ نقبت فيها بعثة علمية المانية برئاسة كولدواي فاشتغل فيها حتى سنة ١٩١٧ دون ما انقطاع وكشف عن طبقات المدينة وقصورها ومعابدها، ومدينة بابل ذات شكل مستطيل كبير يشقها نهر الفرات من شمالها الغربي الى جنوبها الشرقي، ويحيط بها سوران عظيمان، الاول خارجي طوله نحو ١٨ كيلومترا، والثاني داخلي وهو مربع الشكل يحدق بمنطقة القصور والمعابد. والقسم الشرقي من المدينة عامر بقصوره ومعابده، اما القسم الغربي فلم يبق من معالمه ما يستحق الذكر وكان يربط بين القسمين جسر حجري، وفي اقصى الشمال الشرقي من المدينة يقع التل المسمى (بابل) وهو اول التلول التي يراها القادم من بغداد ويعرف البناء المشيد هناك بالقصر الصيفي وقد انشأه الملك نبوخذنصر، وفي جنوب هذا مجموعة من التلول تقوم على يمين طريق السيارات بين بغداد والحلة ويعرف اهل هذه التلول بتل القصر وفي ثناياه قصرا الملك نبوخذ نصر الجنوبي والشمالي وباب عشتار وبنايات اخرى.

وقد اقامت مديرية الآثار القديمة العراقية عام ١٩٤١ في جنوبي هذا التل قرب باب عشتار متحفا صغيرا يدل الزائرين على اهم ما في اطلال بابل من ابنية ومعابد وقد عرض في هذا المتحف بعض الخرائط والمخططات والتصاوير التي تمثل مختلف اطوار الحفريات في المدينة، ونماذج مصغرة من الخشب والجبس لباب عشتار وشارع الموكب ومعبد "ايسا كيلا" وضرحه المدرج.

كان باب عشتار احد ابواب السور الداخلي في بابل، وهو يفضي الى وسط المدينة من جهتها الشمالية. ويمر بباب عشتار شارع الموكب وهو شارع مستقيم يمتد من شمال المدينة عند جانب النهر حيث بيت الولائم (بيت اكيتو) الى جنوبها نحو المعبد الرئيسي المسمى (ايسا كيلا) المقام للاله الاعظم مردوك، وطوله اكثر من كيلومتر ثم ينعطف بزاوية قائمة نحو الغرب حتى يصل الى النهر، وهناك جسر حجري، وهذا الشارع مبلط بالاجر والقير وعلى جانبيه جدار تعلوه ابراج بين مسافة واخرى وهو مبني بالاجر وقد زينت واجهته باجر مزجج وصورت بصور بارزة تمثل ثلاثة انواع متتابعة من الحيوانات وهي:

١) الحيوان الخرافي (التنين) وهو رمز الاله مردوك وهو حيوان له حراشف السمك وأس تنين وذيل حية وارجله الامامية كأرجل الاسد الخلفية ذات مخالب عقاب.

٢) الثورة وهو حيوان اله الرعد "اداد".

٣) الاسد وهو الحيوان الخاص بالالهة عشتار (وفي المتحف العراقي ثلاثة منحوتات تمثل هذه الحيوانات). وكذلك كانت واجهات باب عشتار وجوانبه الداخلية مزينة بآجر مزجج وبصور الحيوانات النائئة ايضا.

وقد اشترك في بناء هذا الباب عدة ملوك اشوريين وبابلين اشهرهم نبوخذنصر الذي رفع مستوى الشارع القديم فوق الاسس القديمة للباب وبنى بناية جديدة بالاجر المزجج فصار منظرها من اجمل ما تقع عليه العين في المدينة. ولكن اعلى هذه البناية وهو المزجج قد خرب واسفا ونقلت البعثة الالمانية ما تبقى منه الى برلين وما يراه الزائر اليوم انما هو القسم الاسفل من البناية المبني بالاجر غير المزجج وهو يعود الى ما قبل زمن نبوخذنصر كما انه يشاهد عدة طبقات لشارع الموكب وهي مفروشة بالاجر والقير. وفي غرب باب عشتار قصرا نبوخذنصر، وتشاهد حتى اليوم بقايا القصر الشمالي ويسمى ايضا بالقصر الرئيسي مسكن الملك وحاشيته، وعثرت البعثة الالمانية في احد جوانبه على آثار متفرقة بعضها غريب الشكل كأسد بابل الشهير وهو تمثال من حجر البازلت الاسود – او الديوريت الخشن، بهيئة اسد رابض على جسم انسان قد يكون امرأة والتمثال غير كامل الصنع وهو غريب في صناعته وقد يمت الى التماثيل الحثية بصلة. ومن المعروف ان الملك نبوخذنصر قد غنم في فتوحاته الواسعة للاقطار المجاورة غنائم كثيرة ونقل ما وقع بيده من مواد ثمينة غريبة جاء بها الى بابل وضعها في قصره فاضحت كمتحف خاص به فلا يستبعد ان يكون هذا الاسد من جملة تلك الغنائم وقد يقال ان هذا التمثال من الصناعة المحلية ويمثل اسد الالهة عشتار كما تراه في نقوش باب عشتار وشارع الموكب.

ويشاهد الزائر غرب القصر الرئيسي بقايا جدران من الاجر هي اطلال ما يسمى بالقلعة او هي مسناة كانت على نهر الفرات قبل ان يبتعد غربا نحو كيلومترين، وفي جنوبي القصر الرئيسي يقع السور الداخلي وكان مبنياً "باللبن" ومغلفاً باجر ويرى اليوم موضعه فقط، ويقع جنوب ذلك القصر الجنوبي وهو المقر الرسمي للملك وفيه قاعة العرش ومجلس الدولة وكان هذا القصر الفسيح يتكون من خمس ساحات واسعة يحيط بكل منها حجرات وقاعات ومرافق اخرى.

وفي القسم الجنوبي الغربي منه ساحة الاستقبال ومساحتها ٥٥×٦٠ متراً وفي جنوبها قاعة العرش ومساحتها ١٥ × ٤٢ مترا كانت وجهتها المطلة على الغناء مزينة بآجر مزجج وملون ومزدانة بنقوش بديعة، وفي القاعة شاهد بيلشاصر آخر ملوك بابل في احدى الحفلات يدا تكتب على الجدار حسب ما ورد في سفر دانيال، وفي وسع الزائر اليوم السير على ارض ساحات هذا القصر وهي مفروشة بالبلاط المربع الكبير الحجم وبالقيم ومن السهل التفريق بين الجدران – وقد رفع اجر اكثرها – وبين القاعات والساحات، وفي الركن الشمالي الشرقي من هذا القصر يشاهد اليوم بقايا بناية غريبة تتالف من سبع حجرات متوازية يقابلها سبع اخرى بينهما ممر وبجانبهما بئر وربما كان فوقها قباب تعلوها قباب اخرى وهكذا تندرج . وما هذه البناية الا بقايا الجنائن المعلقة على ما يظن وقد انشأها نبوخذنصر لزوجته الماذية الفارسية من سكان شمالي ايران.

ومن النماذج الجبسية المعروضة في متحف بابل نموذج المعبد الاعظم المسمى (ايسا كيلا) ومعناه (البيت الرفيع) وهو مخصص لعبادة "مردوخ" اعظم الالهة البابلية ويقع هذا المعبد في القسم الجنوبي من المدينة في نهاية شارع الموكب بعد ان ينعطف نحو الغرب فيفصل بين هذا المعبد والبرج المدرج الواقع الى الشمال

منه والمسمى (اينتيمنالنكي) ومعناه (بيت اساس الشمال والارض). فللمعبد بناية واسعة جدا تتكون من عدة حجرات مقدسة محاطة بفناءٍ واسع ومحيط بالبناء حجرات عديدة جدا كانت تتخذ مخازن للمعبد ومساكن لسدنته ورجال الدين. اما البرج فهو صرح مدرج يعرف بالبابلية بالزقورة يتكون من كتلة صلدة من اللبن المغلف بالآجر وهو مربع القاعدة طول ضلعها اكثر من تسعين مترا وارتفاع الزقورة نحو تسعين مترا ايضا واشتهرت هذه الزقورة بانها برج بابل الشهير وقوامها عدة مصاطب الواحدة تعلو الاخرى وتتصاغر حجماً كلما ارتفعت وفي أعلاها بناية صغيرة للمعبد العلوي حيث يقوم تمثال الاله الاعظم. وقد ذكر هير دوتس المؤرخ اليوناني ان هذا التمثال كان ذا حجم طبيعي معمول من الذهب الابريز. وفي هذا المعبد العلوي كانت تقام حفلات رأس السنة الرسمية وقد بالغ هذا المؤرخ في وصفها. ولكن لا اثر اليوم قط للزقورة والمعبد لان اجرهما نقل في الازمنة المتاخرة واستعمل في مباني مدينة الحلة وما جاورها.

وهناك بنايات أخرى متفرقة في مدينة بابل من ذلك الملعب اليوناني الذي شيد في زمن الاسكندر الكبير، وتشاهد اليوم حفرته فقط شرق عشتار وكان بهيئة مدرج نصف دائري (امفيثياتر) وفي جنوب الملعب بقايا معبد صغير كان قد شيد للالهة ننماخ. اما في جنوب عشتار على نحو كيلومتر فتقع بيوت السكنى لمختلف ادوار المدينة وفي اقصى جنوبي بابل بقايا معابد اخرى مختلفة.

مجلة اهل النفط ك1 / 1959

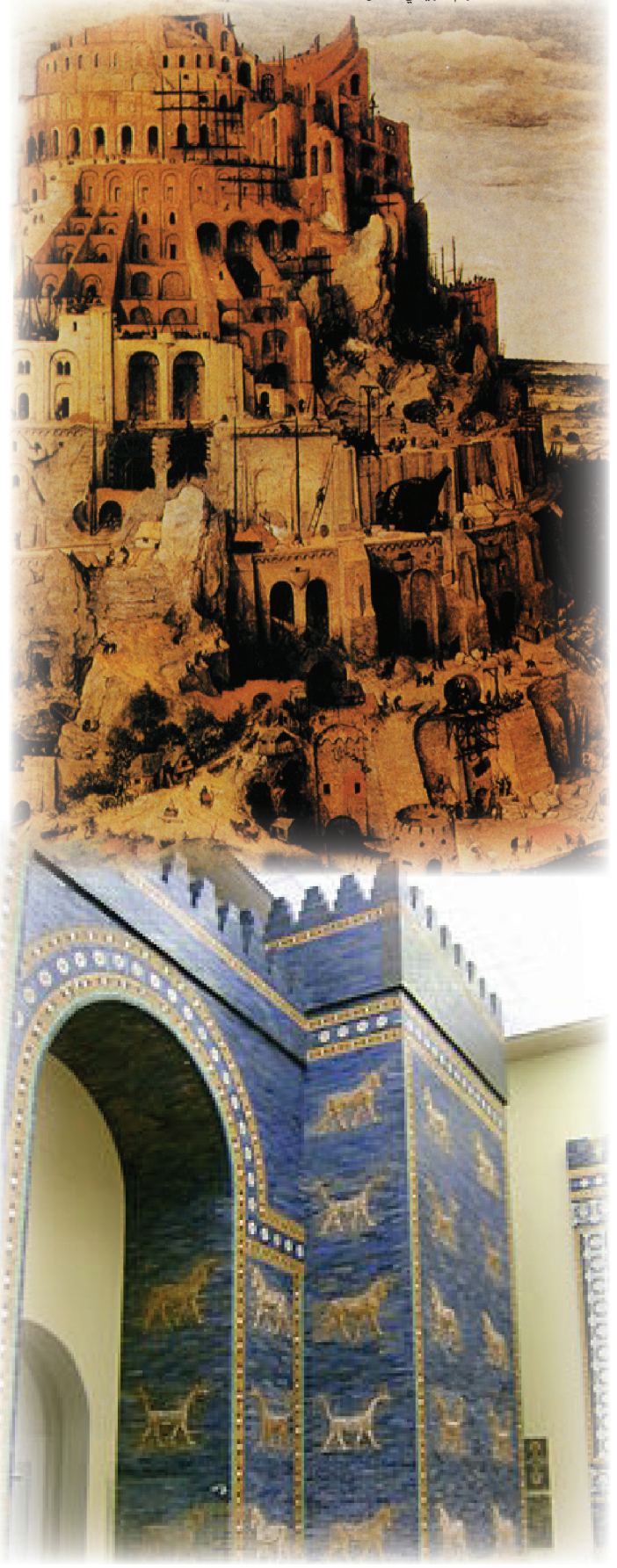

الزهاوي بين انياب الطغيان الحميدي

انور شاؤول

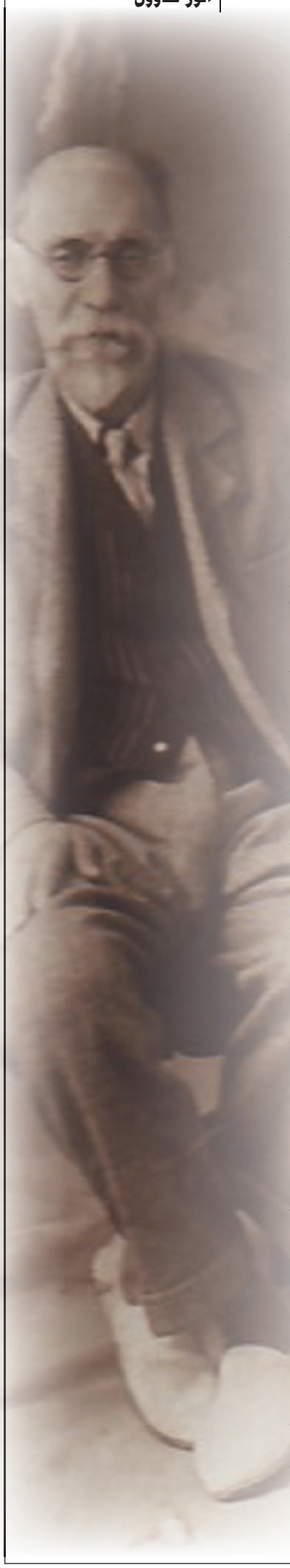

(هذه صفحة رائعة من صفحات الجهاد المجيد الذي امتازت به حياة شاعرنا الكبير الطيب الذكر جميل صدقي الزهاوي، كان قد كتبها صاحب الحاصد بعد ان سمع وقائعها من فم بطلها الخالد. ننشرها لمناسبة الاحتفال العظيم الذي يقام غداً احتفاء بمرور سنة على وفاة الفقيد).

جرت حوادث هذه الاقصوصة، على ما حدثني الاستاذ الزهاوي، خلال شهر كانون الاول من عام ١٨٩٦ يوم كان بعيداً عن دياره واقاربه، يراقب بعيني شاعريته الحساسة اشباح الظلم والاستبداد تبدو باشكال مؤسفة مرعبة.

وجميل الزهاوي يومذاك يسكن الاستانة التي كانت تغلي، بما فيها من ظلم وتعسف وجور واستبداد غليان المرجل، وفي غربته هذه كان الشاعر يذكر وطنه النائي وما يعانيه من الاهوال تحت ضغط المتجبرين المهيمنين، فيخفق قلبه وتدمع عيناه! وللشباب نزوات وطموح، وللغربة وحشة تبعث على التفكير العميق. والقلب الذي يفتح نوافذه للحب، سيما قلب الشاعر، يسمح لاشعة الحكمة والحق بالولوج.

وكان جميل الزهاوي يشعر بفراغ في روحه، فيرجو ملأه، لذلك فهو يريد ان يحب ، يريد ان يطير صيته يريد مقاومة الاستبداد ويريد امورا جسيمة يضيق بها خياله الشعري.

وقد كان يجد في نفسه ميلا شديداً لمناصرة الترك الاحرار الذين اخذوا يسعون لهدم قلاع الاستبداد الحميدي فكان يجتمع بهم بين حين وآخر عاملا معهم يداً بيد.

×××

الساعة التاسعة زوالية ليلا والقاعة خالية إلا من شخص يخطر فيها ذهاباً وايابا وما هي الا هنيهة حتى طرق الباب طرقتين خفيفتين ثم سمع من الخارج صوتا خافتا يقول بالتركية:

"الحرية نعشقها، الحق ينصرنا" سمع صاحبنا هذا الكلام فاسرع وفتح الباب غاضباً على زر خفي فدخل شاب طويل القامة نحيف البنية وقبل ان يرفع التحية طرق الباب ثانيا طرقتين خفيفتين وسمع صوت يقول:

"الحرية نعشقها، الحق ينصرنا" وفتح الباب فدخل شخص ثان، وبعد بضع دقائق اصبح في القاعة ما يقارب العشرة اشخاص بينهم جميل الزهاوي وعبيد الله البغدادي وعبد الحميد الزهراوي وعدد من الاتراك الاحرار وانبرى رب المحل مفتتحا هذا الاجتماع السري لخطير الذي كانوا يرمون من ورائه وضع الخطط لمقاومة الاستبداد الحميدي الهائل فالقى خطبة مسهبة عن سوء التصرف المتفشي في الامبراطورية العثمانية محرضا رفقاءه الزعماء على ان ينهضوا للدفاع عن الحق والحرية الى ان قال:

– وانا ادعو الرفاق لابداء ارائهم فان المناقشة في مثل هذه الظروف لمن اهم الامور.

فانبرى المتآمرون واحداً فواحداً يجيبون على خطاب الرئيس الذي لم يكن سوى "صفا بك" الشاعر التركي المعروف وعندما جاءت دورة جميل نهض صفا بك قائلاً:

– كلنا هنا نحسن العربية فالاوفق لرفيقنا الزهاوي ان يلقي خطابه بلغة بلاده.

فانطلق الزهاوي يدفعه الحماس، ويرشده الحب الوطني، ملقياً خطاباً ندد فيه بمظالم عبد الحميد حاثا اصحابه على الاستماتة في سبيل التحرر من هذا النير حتى قال:

– اولا ترون ان حياة الذل والخنوع لاهون منها الموت، نحن قوم كرام نريد ان نحيا بحرية وطمأنينة وما نريده حقٍ من حقوقنا المشروعة ايموت الشعب كدا وتعباً ليتنعم امراء يلدز في مقصوراتهم حيث الخلاعة والفجور، في ذمة الله تلك الارواح الطاهرة التي ازهقت على غير جرم او ذنب! لنمت في سبيل الحرية! ليسقط الظالمون!

وكان قد اخذ منه التأثر كل مأخذ وما لبث ان شرع في انشاد قصيدة يخاطب بها عبد الحميد حتى اذا قال:

تمهل قليلا لا تغظ امة اذا
تحرك فيها الغيظ لا تمهل
وايديك ان طالت فلا تغترر بها
فان يد الايام منهن اطول بدا الانزعاج على وجهه فارتمى على مقعد قريب خائر القوى.. وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل خرج الرفاق مثنى وثلاث وكان قد رافق الزهاوي في خروجه شخص يسمى عماد الدين بك تعرف به منذ اسبوعين في مثل هذا الاجتماع السري وكان عماد الدين بك هذا لا ينفك مظهرا اعجابه بالزهاوي.

وقبل ان يفترقا عن بعضهما قال البك:

– اودعك يا عزيزي شاعر دجلة وحذار ان تنسى موعدنا غداً لتناول العشاء في دارنا فاجابه جميل مداعباً:

اتدعوني الى العشاء، اذن سانقطع عن الاكل منذ هذه الدقيقة كيما يتسنى لي افراغ كافة الصحون!

وافترقنا...

×××

وكان مساء الغد فجلس عماد الدين ينتظر الزهاوي الذي لم يلبث ان اقبل عليه هاشاً باشاً.

وقدم الطعام شهيا فاكل الصديقان بين المداعبات والممازحة وكان يثلثهما شخص غريب ادعى عماد الدين انه شقيقه.

واذ ابصر صاحب البيت ان الزهاوي فرغ من الطعام، قاده الى غرفة قريبة قائلا:

– هذه هي قاعة الاغتسال.

فدخلها جميل وحده متقدما الى الحنفية لغسل يديه وفمه، وما كاد يحرك الحنفية حتى هبطت به ارض القاعة وسرعان ما ابصر نفسه في قفص حديدي ضيق.

واستولى الرعب على جميل من جراء هذه المباغتة المزعجة، ولكنه تجلد وما لبث ان سمع صوت عماد الدين يقول:

– لقد وقعت اليوم في ايدي اعوان جلالة الخليفة عبد الحميد، فانتظر صدور الحكم ايها المغرور.

بعد مرور ثلاثة اشهر على هذه الواقعة كان جميل الزهاوي في داره القائمة في محلة ميدان بغداد يقص على بعض الاصدقاء المقربين طرفا مما صادفه في الاستانة من الاهوال وكيف ان السلطة العثمانية ابعدته الى بغداد مخفوراً..

فقال له صديق حميم:

– واليوم، الم تزل تحاول مقاومة عبد الحميد واتباعه، فاجاب جميل بافتخار وشمم.

– ساقاومهم حتى النفس الاخير وليس بعيداً ذلك اليوم الذي سيعلم به الظالمون اي منقلب ينقلبون!

م. الحاصد / آذار 1937

تعد العمارة (الريازة) الاسلامية من ابرز عناصر الحضارة العربية الاسلامية واهمها، ممثلة بالمساجد والمدارس والقصور الحمامات والقلاع والحصون والقناطر والاسواق وغيرها من المنشآت والمباني التي ما يزال العديد منها قائماً وشاهداً على عظمة هذه الحضارة وآثارها في الاجيال السابقة واللاحقة. وقد هيأ الله جمهرة من العلماء والمهندسين المدنيين والمعماريين والآثاريين لدراسة هذه المعالم التاريخية والعناية بها سواء اكان بوضع المؤلفات والمصنفات العلمية ام بالتنقيب عنها واظهار خططها ومرافقها، ومن ثم القيام بصيانتها وترميمها بطرق ووسائل فنية علمية. ويعد الاستاذ كريسويل من اشهر اولئك العلماء الذين كان لهم القدح المعلى في هذا الميدان العلمي الاثاري، فقد امضى الشطر الاعظم من حياته لخدمة هذا الجانب من تاريخ الحضارة العربية الاسلامية استكشافا وتدريسا وتأليفا، ومؤلفاته خير شاهد ودليل على ذلك.

سالم الآلوسي
مؤرخ وآثاري عراقي

آثاريون في العراق

كريسويل والعمارة الاسلامية

1869 - 1974

ولد العلامة كيبل ارشيبالد كاميرون كريسويل عام ١٨٧٩م وتخرج في مدرسة (ويستمنستر Westminster) مهندساً وبعد تخرجه بدأ بدراسة فنون العمارة الاسلامية عام ١٩١٠، ومن هنا نشأ اهتمامه بالمشرق واثاره، وكان اول صلة له بهذه البقعة من العالم في سنة ١٩١٦ يوم اوفد الى مصر ضمن وحدة الطيران الملكي البريطاني Royal Flying Corp.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وعقد الهدنة عام ١٩١٨ ، قرر الحلفاء خطة تتضمن اجراء عمليات الاستكشافات عن المعالم التاريخية والاثارية الشاخصة في المناطق الخاضعة للاحتلال حيث تم تعيين الاستاذ كريسويل مسؤولا عن آثار المناطق الشرقية ومدنها مثل: حلب، حما، حمص ودمشق وغيرها وكان ذلك في سنة ١٩١٩.

وعلى اثر جلاء القوات العسكرية البريطانية عن الاراضي السورية في اواخر عام ١٩١٩ توجه الاستاذ كريسويل الى فلسطين، وخلال وجوده هناك وتفقده معالمها التاريخية والاثارية المتعت في ذهنه فكرة اعداد مشروع لتدوين تاريخ العمارة والمباني الاسلامية في مصر، ورأى ان تنفيذ هذه الفكرة يستوجب ويتطلب وضع مقدمة عن فجر العمارة الاسلامية ، وبداياتها فعكف على تنفيذ هذا الامر بشجاعة وصبر، فتحقق ما صمم عليه فصدر المجلد الاول منه عام ١٩٣٢ واعقبه بالمجلد الثاني بعنوان:

The ERLY Islamic Architecture ٢ Folio Volumes. Published by: Clarendon Press، Oxford، ١٩٣٢، ١٩٤٠

ومما يجدر ذكره بهذا الصدد، ان الملك فؤاد الاول ملك مصر (رحمه الله) كان تبنى هذا المشروع العلمي، الذي قوبل بالترحيب والتشجيع، وجعله برعايته للسنوات الثلاث الاولى. وقد استمر كريسويل في عمله ونشاطه وكان ثمرة ذلك تعيينه استاذا في الجامعة المصرية (جامعة فؤاد الاول سابقا) عام ١٩٣١، وكانت باكورة اعماله تأسيس معهد الفنون والاثار في الجامعة المذكورة ووضعه تحت اشرافه وادارته والتدريس فيه حتى عام ١٩٥١، وقد تخرج فيه عدد كبير من علماء الاثار الاسلامية وفنون العمارة.

بعدها انتقل الى الجامعة الامريكية في القاهرة فاختير استاذا ليتولى كرسي العمارة الاسلامية فيها.

حظي الاستاذ كريسوبل بالتكريم والتقدير من قبل العديد من المؤسسات والدوائر العلمية لجهوده واثاره العلمية، فقد تم انتخابه عضوا في المجمع العلمي الملكي البريطاني عام ١٩٤٧، كما منح وسام فارس الامبراطورية البريطانية Commander of the British) Empire (C.B.E.) عام ١٩٥٥.

بعد الحرب العالمية الثانية كثرت الطلبات على كتبه التي اصبحت من اهم المصادر والمراجع عن العمارة (الريازة) العربية الاسلامية من قبل المعاهد والجامعات والطلبة والمهندسين، وبالنظر لندرتها وصعوبة الحصول عليها لضخامتها، اقترح عليه عالم الاثار البريطاني الاستاذ ماكس مالوان، اعداد مختصر لكتابه الضخم، تسهيلا للحصول عليه واشاعة فائدته عند المختصين وعامة القراء، فما كان منه إلا الاستاجابة، فصدر الكتاب المختصر ضمن سلسلة كتب (بليكان Pelican Books) بعنوان:

A short Account of Early Muslim Architechture Middlesex

وبهذا الصدد يقول الاستاذ (مالوان) "ان الاستاذ كريسويل الذي امضى الشطر الاكبر من حياته في دراسة العمارة الاسلامية التي توجها بالمجلدين المذكورين، وبكتابه المختصر الذي صدر ضمن سلسلة كتب (بليكان Pelican Books)، وان كان المختصر الاخير لا يعوض عن المصدر الاصل، لكنه جاء يصحح ويضيف معلومات جديدة لا يستغنى عنها من قبل الدارسين والمتابعين لهذا الفرع من فروع المعرفة التاريخية والاثارية، وكان موفقا جد التوفيق في هذا التلخيص. ويستطرد قائلا: "كان الاستاذ كريسويل يتابع بنفسه تفصيلات العمارة وينقب عنها بدقة للحصول على ادق المعلومات، وقد تولى بنفسه عمليات التنقيب من اجل الكشف عن تفصيلات ومعلومات مجهولة لدى الكثير من المؤرخين والاثاريين، وكان كذلك يشرف بنفسه على كثير من اعمال الصيانة والترميم في المباني والعمائر ، حرصا منه على ان ياتي العمل على اتم صورة من الصحة والضبط وفق اصوله القديمة.

كان يتقن اللغتين الفرنسية والالمانية اضافة الى لغته الانكليزية. كان هذا العالم الكبير ذا شخصية قوية تتصف بالعزيمة والصبر على مواصلة العمل وتشخيص دقائق المعالم والعناصر الفنية وضبط المقاييس، ومهارة فائقة في المقارنة والاستنتاج سعياً للتوصل الى نتائج وحقائق عجز عنها من سبقه في هذا المضمار، وقد حالفه التوفيق في كل ذلك، وخير شاهد على ذلك ما خلفه من ذخائر علمية وفنية اصبحت اكبر

كريسويل

مصدر و افضل مورد يستقي منه الباحثون وطلاب المعرفة في مجالات فنون الريازة الاسلامية، حتى ان تلك الذخائر وصفت بانها معلم من معالم الحضارة والفنون العربية الاسلامية.

كريسويل واثار العراق

كانت اثار العراق ومعالمه التاريخية الاسلامية من المصادر والموارد المهمة التي ارتوى منها الاستاذ كريسويل، وقد استهوته تلك المعالم والاثار فتوجه الى العراق عام ١٩٣٢ واتصل بدائرة الاثار، وكان مديرها يومذاك الاثاري الالماني الدكتور يوليوس يوردان ((Julius Dr. Jordan الذي هيأ له الاسباب لزيارة الاثار الاسلامية وغيرها في العراق، وكان حصر اهتمامه في الكوفة وسامراء والاخيضر لانها تمثل اوائل النماذج من المعالم الاثارية الاسلامية في العراق، ونصح دائرة الاثار ان تقوم بالتنقيب في الكوفة وخاصة دار الامارة، للاطلاع على الطراز المعماري للبناء، كما فعل الاثاريون الالمان في سامراء برئاسة ارنست هرتسفيلد، غير ان هذا الامر لم يتحقق في عهد (يوردان) بل تحقق على عهد مدير الاثار الاستاذ ساطع الحصري الذي اوفد بعثة للتنقيب في دار الامارة برئاسة المهندس محمود علي العينه جي في ١٩٣٨/٦/١١ ولمدة شهر واحد، ثم الكشف عن مخطط دار الامارة ومخطط لمسجد الكوفة.

ولم تنقطع علاقته بالعراق واثاره، بل استمرت على مدى سنوات فقد زار العراق في اواسط الاربعينيات للاستشارته في قضية هدم جانب من المدرسة المرجانية (جامع مرجان) ولم يليب ان زار العراق في خريف عام ١٩٥٤ وتوجه الى بناية المدرسة المستنصرية للاطلاع على اعمال الصيانة والترميم الجارية فيها فقام بمسح مرافقها واخذ المقاييس والتقط بعض الصور لزخارفها وكنت مرافقا له اساعده في هذا العمل وتسجيل الارقام.

وكان ابدى اعجابه بالعمل الذي يقوم به البناؤون العراقيون خاصة اعمال الصيانة والترميم في موقع القصر العباسي والمدرسة المستنصرية وخان مرجان، وابدى اسفه العميق على هدم اجزاء مهمة من المدرسة المرجانية (جامع مرجان) لكون هذه المدرسة شيدت على طراز المدرسة النظامية المجهولة المعالم والموقع.

كانت دائرة الاثار عازمة على القيام بحملة لصيانة وترميم حصن وقصر الاخيضر فارتات ان تستشير في هذا الامر الاستاذ كريسويل بمناسبة وجوده في العراق، وتمهيدا لذلك توجه الدكتور ناجي الاصيل والاستاذ كريسويل الى الكوفة والاخيضر في ١٧-١٨/١١/١٩٥٤ لدراسة الموضوع وبعد عودته عقد اجتماع فني برئاسة الدكتور الاصيل حضره عدد من موظفي الاثار ممن له صلة بالموضوع ومهندس عن كلية الهندسة. وقد سجل كريسويل ملاحظاته بمقال نشره في مجلة "سومر" المجلد ١٠ (١٩٥٤) بعنوان: زيارة الى الاخيضر والكوفة برفقة الدكتور ناجي الاصيل.

A visit to ukhaidir and kufa with Dr. Naji Al-Asil .Sumer Vol ١٠ (١٩٥٤) No. .PP ١٤٣-١٤٩.

محاضرات في كلية الهندسة (فرع الهندسة المعمارية) فرع الاثار:

دعاه فرع الاثار بكلية الاداب، لالقاء محاضرات عن فنون العمارة الاسلامية على اساتذة وطلبة الفرع، وقد اختيرت احدى قاعات بناية المدرسة المستنصرية لذلك بناء على رغبته لتعزيز المحاضرات بالمشاهدة الميدانية.

ولجهوده الكبيرة اقيمت له حفلات ومناسبات تكريمية منها:

١- منح تقدير Sir

٢- انتخب عضوا في الاكاديمية الملكية البريطانية ١٩٤٧

٣- منح وسام فارس الامبراطورية البريطانية C.B.E سنة ١٩٥٥

٤- بمناسبة بلوغه التسعين منح رتبة فارس سنة ١٩٧٠.

مع الوفد العراقي الى مؤتمر الاثار العربي الثالث :

كان المؤتمر الثالث للاثار العربية انعقد في مدينة فاس (المغرب) في خريف عام ١٩٥٩ وتالف الوفد العراقي من السادة:

- الاستاذ العلامة فؤاد سفر – مفتش التنقيبات العام
- الاستاذ الفنان اكرم شكري – مدير المختبر الفني
- سالم الالوسي – سكرتير مجلة سومر – سكرتيراً للوفد

وقد التقى اعضاء الوفد بالعلامة كريسويل وكان موضع ترحيب وتقدير المؤتمرين كافة وكان القى محاضرته بالفرنسية، ومن الصدف الجميلة، ان الوفد العراقي بعد اختتام اعمال المؤتمر رافق هذا العالم في زيارة عدد من المعالم الاثارية القديمة والاسلامية في فاس، مكناس، الرباط ومراكش بعدها توجهنا سوية بباخرة من ميناء طنجة الى اسبانيا لزيارة اشبيلية وقرطبة، وقد استفدنا من معلوماته كثيراً في هذه الرحلة العلمية.

مؤلفاته:

في عام ١٩٢٠ التمعت في ذهنه فكرة مفادها وضع تاريخ للمباني الاثارية والمعالم العمرانية الاسلامية في مصر، كبداية يمكن تطويرها وتوسيعها لتشمل المعالم العمرانية في اقطار العالم الاسلامي، تتضمن دراسة كل معلم من المعالم، مدرسة، مسجد، قصر، قلعة ، سور، حمام ، قبة، مأذن، ابواب الاسوار والمدن.. الخ. معززاً بمخططات ورسوم وتصاوير، ثم بادر الى تقديم المشروع الى فؤاد الاول ملك مصر الذي رحب بالمشروع، وابدى اهتماما بالقابه وجعله برعايته ومنح كريسويل مبلغ (٨٠٠) جنيه مصري يصرف لمدة ثلاث سنوات، ولم يلبث المشروع ان تضخم بسبب المكتشفات الاثارية الجديدة، ولم يبال بضخامة هذا المشروع الحضاري بل تولى انجازه بنفسه على مدى (٥٥) عاما بصورة متواصلة ويحتوي المشروع:

١- (٥) مجلدات كبيرة نشرت سنة ١٩٦٩ مع (٦) مجلدات مهيئة للطبع حتى تاريخ وفاته في ١٩٧٤/٤/٨.

٢- فجر العمارة الاسلامية صدر المجلد الاول سنة ١٩٣٢ واعيد طبعه ١٩٦٩.

٣- العمارة الاسلامية في مصر، صدر المجلد الاول سنة ١٩٥٢ والثاني ١٩٥٩.

٤- وضع اضخم بيليوغرافيا للمصادر والمراجع الباحثة عن العمارة والفنون الاسلامية صدر سنة ١٩٦١ وصدر ملحق له سنة ١٩٧٣.

٥- يفتخر بان مكتبته تعد اضخم واهم مكتبة متخصصة بالعمارة الاسلامية في العالم.

الطباعة في بغداد والنجف وكربلاء

ابراهيم حلمي العمر
صحفي عراقي راشد

لن تكن بغداد حتى اواسط القرن التاسع عشر تعرف المطابع او فن الطبع بل كان العراقي اذا سمع بان الكتاب الكبير الكثير الصفحات يطبع في يوم او بعض يوم تأخذه الحيرة ويبقى مبهوتاً مدهوشاً لضعف مداركه وقلة بضاعته في العلم حتى انه لا يصدق ذلك وربما انكره وعده من رابع المستحيلات، وليت الأمر وقف عند هذا الحد بل ربما استهزأ باقوال الواصفين له فن الطباعة وعده من فنون السحر! بيد ان العراقيين لما رأوا ما جلبت الطباعة على اهل مصر الذين سبقوا البلاد العربية من الفوائد الجمة، وما درته عليهم من الذهب الوهاج، وراوا كثرة الكتب وزهد اثمانها قامت بينهم نهضة علمية غلبت فيها التجارة فدمعتهم بسائق العلم الى ان يجاروا على الاقل اخوانهم السوريين الذين كانوا اسبق البلاد العثمانية العربية الى جلب المطابع بعد مصر.

وعلى الاخص لما شاهدوا باعينهم ما جنته الحكومة من الفوائد والثمرات من مطبعتها التي كان قد جلبها ابو الاحرار مدحت باشا سنة ١٢٨٦ – ١٨٦٩م. إذ من عادات العراقيين التي قد استحكمت عراها بينهم (وكانت سبباً وحيداً في تأخرهم وعقبه كؤودا في طريقهم وسيرهم نحو المدينة) انهم لا يتشبثون بمشروع ولا يعقدون شركة ولا ينشئون محلا او غير ذلك إلا بعد ان يشاهدوا ثمراتها وفوائدها باعينهم ولو ادى الامر الى قعودهم وتأخرهم عن مجاراة الأمم الراقية وبعد ان يستثمرها الاجانب ويتمكنوا من رقابهم والاستيلاء على منابع ثروتهم، ومصداقا لقولنا هذا شركة لنج فإنها قبل ان تعطيها الحكومة امتياز تسيير بواخر في نهر الفرات كانت قد عرضتها على اغنياء بغداد وتجارها مع تساهل عظيم في الشروط بواسطة احد الولاة فلم يقبلوا واحجموا عن استثمار ينابيع ثروة بلادهم فلما راوا ما جادت به على لنج من الربح الكثير والفوائد الجمة قاموا تلك القومة المشهورة وزعزعوا الاستانة باحتجاجاتهم على توحيد الادارتين النهرية العثمانية والانكليزية معارضين تسليمها الى لنج ولكن بعد خراب البصرة!

ولما نظروا الفوائد التي انتفعت بها بغداد من مطبعة الحكومة تهافتوا على جلب المطابع وما يلحق بها من ادوات لطبع الحروف وللطبع على الحجر ومسابك ومقاطع وآلات تتحيس وصل وتذهيب وتجليد والى الآن ليست مطابعهم على ما يرام او ليست كافية لما تحتاج إليه البلاد العراقية المملوءة مكتباتها كتباً واسفاراً ثمينة لم يرها إلا الاقلون ومن ذوي الثروة الطائلة وذلك لان الرجل العراقي اذا اراد ان ينشيء مطبعة يتكبد النفقات والمشاق في سبيل جلبها ما لا يتكبده اخوه السوري وذلك لقرب البلاد السورية من اوروبا ووفرة الطرق والسكك الحديدية فيها وبعد البلاد العراقية عنها وخلوها من سكك حديدية وطرق مواصلات تربطها بالبلاد الراقية وتقربها منها. ولا ريب ان بلاد العراق في اقصى ديار الله. وهذا ما اخرهم عن غيرهم وجعل بينهم وبين غيرهم من الامم الراقية مراحل كثيرة. وليس بعدهم عن البلاد الراقية هو الذي اخرهم في تكثير المطابع وتحسينها واتقان صناعتها فقط بل أخرهم عن طلب العلم ومجاراة الشعوب الناهضة والسفر الى البلاد التي نالت نصيباً وافراً من المدنية لتكاثر مناهل العلم فيها والاستفادة بنبراس كلياتها إذ ان للبعد والقرب من البلاد المتقدمة في عالم الحضارة دخلا كبيراً في رقي الشعوب وانحطاطها.

عن مجلة (لغة العرب) 1912

مذكراتي

كيف التهبت الثورة عام 1920 في الخالص؟

علي مهدي الخالصي

ان (التفيض) مرسح الوطنية وندوة ابطالا بالامس وحاملة مشعل الاستقلال في الماضي القريب جدير بها ان تتمخض اليوم عن "التفيض الفتاة" لتوصل الماضي بالحاضر، ولتساهم هي الاخرى في حمل هذا المشعل وبعث هذا الروح الذي اضمحل او اوشك.. ولا غرو فهذه العصا من تلك العصية.. ونحن اذا ما اردنا ان نساهم في (التفيض الفتاة) فليس لدينا من موضوع ادق في الوطنية من ذكرى الثورة العراقية.

لم تكن الثورة العراقية حادث يوم او ثمرة غرور واثر هياج، وانما هي نتيجة جهاد قومي مستمر تكتل من اجله الشيب والشباب اياما طوالا مواصلين العمل الجدي اناء الليل واطراف النهار وهم يفكرون التفكير العميق لخوض معمعة دامية تكون ثمرتها فك قيد من صب ورفع نير من مستعمر وطب حرية واستقلال، بل وتبديل مجرى تأريخ بقلب صفحة سوداء قاتمة الى اخرى بيضاء ناصعة لتطرز بالدماء فتبقى خالدة ابد الدهر. لهذا فقد الف فيها المؤلفون الكتب وكتب عنها الكتاب فصولا طوالا. ولا غرو فهي مستهل تاريخ نهضتنا وفاتحة عهد استقلالنا ومفتاح باب حريتنا. غير انه يؤسفني جداً اني لم اقرأ لهؤلاء الكتاب والمؤلفين الا الذي كان في متناولهم، ولم يكلف احد منهم نفسه صعوبة التتبع والاستفسار عن كثير من حوادثها ولم يأخذوا الأمور من مصادرها. وان اهم كتاب يعتمد عليه في هذا الباب هو كتاب: (القضية العراقية للاستاذ الشيخ مهدي البصير) ورغم ان الاستاذ كان من دعاتها واقطابها فانه قد اهمل صفحة خالدة كان يجب ان يجعلها طغراء في جبين كتابه الا وهي الثورة في (دلتاوة)، يوم هب ابناء الخالصي ملبين نداء الوطن العزيز، دون ان تخيفهم قوة العدو الغاشم، او يرهبهم عدده ولا عدده، او يرتابوا من طياراته، ولا من مدافعه ورشاشاته وهم شرذمة قليلة عزلاء إلا من الايمان، لا زاد لها غير التقوى ولا معين لها غير هذا الروح الوطني الملتهب. وظلت هذه الفئة الطيبة شهرا ونصف شهر تصاول الفيلق بالشرذمة، وتقابل القذيفة بالخرطوشة، وتهاجم المدفع بالسيف، والرشاش بالفأس.

ان قرية هذا سهمها في خدمة الوطن ابان الثورة العراقية كان لزاما على الكتاب والمؤلفين اعطاؤها حقها في التاريخ، واحياء ذكرها في التخليد، لانها انموذج فاخر للوطنية المخلصة والقومية الصادقة. ويسرني جدا ان تتاح لي الفصة اليوم لاكشف عن هذه الصفحة المطوية المندثرة. على صفحات (التفيض) مشكاة الوطنية بالامس واليوم. لا زلت اذكر يوم ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٨ هـ ساعة تيقظت والشمس لازالت متوجة رؤوس النخيل والاشجا باشعتها الذهبية الزاهية فارتديت ملابسي وخرجت كالعادة الى حيث المقهى الذي اركن اليه. دخلت السوق فاذا الحوانيت مغلقة، وابواب المقاهي موصدة، والناس في جيئة وذهاب، يتهامسون باستبشار، ويتشاورن بسرور، وما وقفت لحظة حتى مر الجنود الانكليز والهنود والشرطة حينذاك ، وهم مدججون بالسلاح، يتقدمهم الحاكم السياسي (المستر لويد) وهو على صهوة جواده، وهم يستعرضون البلد على غير عادتهم ذهابا وايابا وهم باحسن عدة وخير اهبة واكمل نظام. وبعد استعراض طويل انصرفوا الى ثكنتهم من بعده، وما ان توارى الجنود في مكمنهم حتى اشهر المواطنون السلاح وتكتلوا جماعات جماعات، وهم في غير لغو ولاهياج فكانهم ينتظرون شيئاً. ومرت ساعة واخرى وبعد ان قاربت الشمس ان تسامت الرأس، دوت عند ذاك عدة طلقات نارية من شمال البلد تبعها لغط وصياح وهياج فانصرف ابناء البلد شيباً وشباناً راكضين الى حيث ارتفع الصياح واز الرصاص. وعند مدخل المدينة التقى الجمع بفرسان (البوهيازع) – واذا لم تكن هيازع من قريش فانها من يعرب – وهم يهزجون باهازيجهم الشعبية العذبة ويرمون الفضاء بنار حامية من بنادقهم فاختلط الجمعان وهم يثقون طرقات المدينة بالصياح والغناء والرصاص. وجاؤوا دار الحكومة التي تحصن فيها الجند وقائدهم فامطروها وابلا من رصاصهم ثم كسروا بابها فخرج اليهم الحاكم معلناً استسلامه ومن معه وعندئذ انكشف الجمع ودخل اليهم رؤساء البلد فاخذوا سلاحهم وعتادهم ثم صرفوا الشرطة الوطنيين وساقوا الهنود والانكليز اسرى الى دار المرحوم رشيد الفرح (الذي استشهد في المعركة الاخيرة بين الثوار والانكليز) وبذلك اليوم وقع (ابن جون بول) اسيرا بيد (ابناء الخالصي) المغاوير يعلن ذلته ويبدي خضوعه غير ان العربي الاشم لا يغره النصر ولن يخرجه عن عادته الفوز بل ظل محافظا على اسيره يطعمه خير الزاد ويبيته على احسن اطمئنان. وظل الاسرى هذه حالهم حتى انتقلوا الى مضارب الشيخ (حبيب الخيزران) حيث ارتحلوا عنها الى بغداد. ويعز علي هنا ان لا اقدر الكشف عن كيفية انتقال الاسرى الى بغداد لاخفاقي في معرفة الخبر اليقين وهنا لا ادري كيف التهب هذا الروح الوطني الجبار بين مختلف الثائرين ! فكنت ترى البدوي منهم يهنيء اخاه البلدي وكلاهما يذرف دمعة النصر والفرح، والمدني يدعو البدويين الى وليمته والجميع في سرور يزيد على فرحة العيد وبهجته. وان انس لا انس (ابو خشيم) احد متقدمي عشيرة (البو هيازع) ساعة وقف خطيبا من فوق جواده بين الجموع الزاخرة فالقى خطبته التي لا زالت تلوكها الالسن بلهجته البدوية والتي معناها: ايها الناس لا ياخذكم الفزع ولا ينالكم الخوف فقد ذهب الغاصبون المستعمرون وبقينا احراراً نحن وشأننا وكلنا عنصر واحد، وقلب واحد، ونفس واحدة، فعودوا لاعمالكم، وارجعوا الى سيرتكم الاولى، وما زلنا نطلب حقا فالله معنا وهو خير ناصر واقوى معين.

لازلنا في اول يوم الثورة وقد جائتنا عشائر (العنبكية) وهي مدججة بالسلاح، كل فخذ منها يحمل رايته وجاءتنا جموع القوى من كافة انحاء القضاء فغصت البلدة على رحبها بالثائرين الذين توزعوا فرقا فرقا، هذه تلعب وتلك تنشد الاناشيد وهذا يخطب في جمعه وذلك يتحدث والكل يتجاوبون ازيز الرصاص وقضينا ليلة ساهرة ثملنا فيها بخمرة النصر ونشوة الحرية.

ولازلنا في اول يوم الثورة وقد حاول بعض الاشرار التعدي على بعض موظفي حكومة الاحتلال من كتاب وجباة وبعض المواطنين اليهود لينالوا من مالهم واثاثهم فاباها عليهم عقلاء القوم واعلموهم ان دون ذلك خرط القتاد فرجع الاشرار عن غيهم. وقد اجيب طلب هؤلاء الموظفين واليهود فاوصلوا بغداد بامن وسلام بعد ان امن لهم على اموالهم واثاثهم كلها.

لم يكن التهاب الثورة في (الخالص) ابن ساعته وانما نتيجة تدبر وعلى اساس منهج كان قد اعده بعض اعضاء فرع جزب (الحرس الاستقلالي) في دلتاوة امثال السيد انطون لوقا العقيد المتقاعد اليوم والمرحوم السيد داود الجوهر والمرحوم السيد عبد الغني الخاصكي والسيد علوان الهزاوي رئيس بلدية الخالص اليوم والسيد شاكر حميد قامقام قلعة صالح اليوم وبعض متقدمي البلدة وشيوخها كالمرحومين رشيد الفرح وعبد الخدران وجواد العزاوي كما اشترك معهم بعض الاحياء من امثال الشيخ حبيب الخالصي وعبد الخالص الهاتف وبعض رؤساء القبائل الذين كان منهم الشيخ عبد الحميد المصطفى الدبي والشيخ شجاع وغيرهم.

اذ عقد هؤلاء قبل الثورة بيوم اجتماعا سريا تداولوا فيه الرأ] بينهم واتفقوا على ان يستعد الاهالي للخروج على الحكومة حال اطلاق النار من الخارج وان ترابط جموع القبائل وجماعات القرى باطراف البلدة وان تكون قبيلة (البوهيازع) اول الداخلين وهكذا كان، والتهبت الثورة في قضاء دلتاوة (الخالص اليوم) من اقصاه الى اقصاه.

هذه نبذة عن ابتداء الثورة في قضاء الخالص قد يساعدنا الوقت فنتبعها بصحائف اخر ترديدا للذكرى واعترافا بالحق وخدمة للتاريخ.

مجلة التفيض 4 نيسان 1939

من اوراق عبد الحميد الرشودي

قدم الاستاذ الفاضل عبد الحميد الرشودي مجموعة من مقالاته عن عدد من الشخصيات الادبية والصحفية والسياسية او عن بعض الاحداث الطريفة التي عرف اسرارها او تعليقاته على بعض المؤلفات التي تعنى بتاريخنا الفكري الحديث، ونعيد نشر هذه المجموعة تباعا في ملحقنا (ذاكرة عراقية).

الاديب الذي كتب بدم قلبه خالد محسن اسماعيل

خلق الناس للبقاء فضلت
امة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار اعما
ل الى دا شقوة او رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الـ
جسم فيها والعيش مثل السهاد

طوى الموت الاديب النابه المرحوم خالد محسن اسماعيل فشق نعيه على اصدقائه وعارفي فضله وادبه وخلقه.

لقد كان الفقيد الكريم من اولئك الادباء الذين امنوا بشرف الكلمة وايقنوا بان للادب رسالة ينبغي ان تؤدى على انبل وافضل ما تؤدى به الرسالات لذا صان قلمه عن الابتذال والارتزاق وجعل همه نشر الفضيلة ووكده نصرة الحقيقة يعضده في ذلك سلوك قويم وخلق كريم.

عرفت خالد محسن اسماعيل منذ عهد بعيد فوجدت فيه شاباً مهذباً حيياً هاويا للادب متتبعا لسير رجاله واعلامه وخاصة المحدثين منهم.

لقد اصطفى خالد لنفسه اسلوبا في الكتابة متميزا فجمع بين الجملة القرآنية البليغة التي استقرت اصداؤها في وجدانه وخفقات قلبه والجملة الجبرانية المجنحة الهائمة في اودية الخيال فجاءت كتابته مزاجا عجيباً جمع بين رصانة ومتانة القديم وسلاسة ورقة الحديث ولعل نظرة متأملة في مقالاته التي اطل علينا بها من (النافذة الثقافية) في جريدة العراق الغراء تؤيد ما ذهبنا اليه فهو كما نأى في كتاباته من عوراء القول وفاحشة فقد نزه نقدائه عن التجريح والتشنيع وان كان بعضها لايخلو من لسعات ولكنها لسعات النحل التي يأتي فجها الشهد والرىّ.

ولد خالد محسن اسماعيل في محلة رأس الجسر (درب الفوق) وهي من محال الكرخ سنة ١٩٣٥ في اسرة متوسطة الحال وبعد اكماله مراحل الدراسة انتمى الى كلية الدراسات الاسلامية ثم سمت به همته الى مواصلة دراسته العليا فانتظم طالب ماجستير في كلية الاداب وحصل على شهادة ماجستير اداب عن رسالته: "ابن السيد البطليوسي" العالم اللغوي وذلك سنة ١٩٧٤ ثم عين مدرسا في كلية التربية وحين اشتد به مرض (السكري) طلب نقله الى وظيفة ادارية في وزارة التعليم العالي فبقي فيها الى ان طلب احالته الى التقاعد عله يخلد الى الراحة والدعة ولكن الاقدار كانت له بمرصد ولئن شاءت حكمة الطب ان تقطع ساقه فالله يشهد انها لم تقطع في حد من حدود الشرع فما حملته الى فاحشة ولا مشت به بنميمة فقد كان عفاً ورعاً تقياً في يفاعته وشبابه وكهولته.

اقول لئن بانت عنه ساقه فما بان عنه صبره وجلده فقد تلقى ذلك صابراً محتسباً وبينما هو يوطن نفسه على الحياة الجديدة ويحاول ان يصل ما انقطع من بحوثه ويستأنف دراسته التاريخية المستفيضة عن شارع الرشيد ويقف طويلا عند (باب المعظم) باحثا عن سبب تسميته منقبا عن تاريخه اذ دهمته نوبة قاتلة من نوبات ضغط الدم العالي فسقط في ذلك المساء الحزين الكئيب صريعا بين اقلامه واوراقه.

لقد رحل عنا الاديب الذي كان يغمس قلمه بنجيع قلبه قبل ان يقول كل ما عنده – فقد رحل وفي رأسه كثير من الافكار وفي قلبه كثير من الخواطر التي حال المرض دون تدوينها واذاعتها في الكتب او الصحف ولو سالمه الزمان وامتدت به فسحة الاجل لاعطانا الكثير المفيد مما ينتظر من مثله فقد رحل عنا وهو في اوج كماله الادبي ونضجه العلمي والعقلي ورحم الله شيخ المعرة القائل:

وخلعت الشباب غضاً فيا
ليتك ابليته مع الانداد

ولقد كانت بيني وبين الفقيد صحبة كريمة ومودة مؤكدة وكان من ثمار ذلك ان انجزنا بعض الاعمال الادبية متعاونين متشاركين فحمدت له تلك الصحبة وشكرت له تلك المعاونة الخالصة لوجه الادب.

ولعل من المفيد للتاريخ الادبي ان نذكر انجازاته الادبية وهي:

١- ابن السيد البطليوسي: العالم اللغوي، رسالة ماجستير – كلية الاداب – جامعة بغداد ١٩٧٤.

٢- قلم وزير – تاريخ ما اهمله التاريخ من القضية العربية في الحجاز والشام والعراق – تحقيق وتعليق، مطبعة المعارف بغداد ١٩٧٠.

٣- مقالات فهمي المدرس جـ٣ – بالمشاركة مع عبد الحميد الرشودي، مطبعة اسعد / بغداد ١٩٧١.

٤- ابراهيم صالح شكر – حياته واثاره – بالمشاركة مع عبد الحميد الرشودي وجميل الجبوري – بغداد ١٩٧٨.

٥- رجال من الكتيبة الراشدة – مطبعة الميناء ١٩٧٧ وقد اعيد طبعه.

٦- شارع الرشيد: دراسة تاريخية مفصلة لهذا الشارع الحيوي الذي يعد الشريان الابهر لمدينة بغداد – لايزال مخطوطا.

شؤون التعليم في البصرة

بقلم عزيز عجم

زخرت البصرة في التاريخ باعلام كثيرين نشروا لواء الادب والفقه والحديث والنمو والفلسفة اجيالا مديدة.

اما في الحاضر فتشير ميزانية مديرية المعارف الى ازدهار شؤون التعليم في لواء البصرة، ففي سنة ١٩٥٣ – ١٩٥٤ كانت ٣٢٢,٣٠٠ دينار بلغت سنة ١٩٥٦ – ١٩٥٧ الى ٦٧٩,٢٠٠ دينار، وحدثنا سعادة الاستاذ عبد الجبار البكر مدير معارف لواء البصرة عن شؤون التعليم منذ انتماء الاطفال الى رياضهم حتى تخرجهم من المدارس الثانوية والمهنية في اللواء.

فلم تكن هناك رياض اطفال حتى سنة ١٩٤٧، اما الان ففيها اثنتان احدهما في العشار وتضم ٧٠ طفلا وطفلة والاخرى في ابي الخصيب تضم ٢٤ وان النية متجهة الى الاكثار منها نظراً لازدياد الاقبال عليها.

وكان عدد المدارس الابتدائية في سنة ١٩٤٧، تسعاً وستين مدرسة مجموع طلبتها ١٢,٦٤٧ طالباً وطالبة في حين بلغ عدد هذه المدارس ١٥٩ في سنة ١٩٥٧ مجموع طلبتها ٣٥,٥٤٥. ويشمل هذا العدد المدارس النهارية والمسائية وطلاب مراكز مكافحة الامية. ونتيجة لازدياد عدد المدارس والطلبة ازداد عدد المدرسين والمدرسات في اللواء فبلغ في هذه السنة ٧٥٥، منهم ٥٥٠ مدرسا والباقي مدرسات.

ولا بد من الاشارة الى نسبة النجاح في المدارس الابتدائية للصفوف المنتهية عام ١٩٥٧ وهي سبعون بالمائة وهذه نسبة جيدة بالنسبة للسنين الماضية.

ولقد بذلت مديرية المعارف جهودها لزيارة المدارس الثانوية وذلك تلبية للحاجة المتزايدة ومواجهة خريجي المدارس الابتدائية، ففي اللواء اليوم ثلاث ثانويات اثنتان للبنين وواحدة للبنات بالاضافة الى فتح اعدادية التجارة مع ثماني متوسطات للبنين وثلاث للبنات. ويبلغ عدد طلبة المدارس الثانوية والمتوسطة ٣,٦٧٧ منهم ٧٢٣ طالبة.

وبلغ عدد المدارس المهنية في البصرة اربعاً منها ثانوية الصناعة ومدرسة الفنون المنزلية ودار المعلمين والمعلمات وان العمل جار في الوقت الحاضر ببناء المجموعة الثقافية في شط العرب وستضم مدرسة الصناعة ومدرسة الزراعة ودار المعلمين والاقسام الداخلية وحقول تجريبية، ويهتم المسؤولون وفي مقدمتهم سعادة الاستاذ رشيد نجيب متصرف اللواء بانجاز هذه المجموعة في اقل وقت، ومديرية معارف لواء البصرة مسؤولة عن ادارة المدارس العراقية في ايران، اذ هيأت الادارة المحلية لابناء العراقيين المقيمين في ايران سبل الدراسة والتعليم، ويبلغ عددهم حوالي الاربعمائة طالب يدرسون في اربع مدارس ابتدائية ومتوسطة واحدة. واظهرت الادارة المحلية اهتمامها بتطبيق مشروعي الاكساء والتغذية وتقديم الكتب المدرسية والقرطاسية. وقد بدئ بمشروع التغذية في المدارس الابتدائية سنة ١٩٥٣ وشمل عشر مدارس مجموع طلبتها ٣٤٣٢ وكانت التغذية مقتصرة على الحليب والفيتامينات وفي سنة ١٩٥٦ – ١٩٥٧ شمل مشروع التغذية ١٢٦ مدرسة للبنين وللبنات منها ٤٢ مدرسة يبلغ عدد طلابها ٨٧١٠ شملهم مشروع التغذية الكامل وذلك بتقديم وجبة غذائية تتكون من الخبز والبيض والفواكه والحليب والفيتامينات المختلفة وزيت كبد الحوت و ٨٤ مدرسة عدد طلبتها ٢٢,٤٣٠ شملها مشروع التغذية الموسع بتقديم الحليب والفيتامينات (كبسول) وقد خصص لهذا المشروع ٢٥ الف دينار ومثله لمشروع الاكساء للبنات وللبنين من الطلبة الفقراء في المدارس الابتدائية.

وتشرف مديرية المعارف عسل الاقسام الداخلية التي يرعاها مدير المعارف باهتمام بالغ وهذه الاقسام ملحقة بالمدارس الثانوية والمهنية لسكنى الطلاب البعيدين عن مركز اللواء واعاشتهم وعدد هذه الاقسام اربعة تضم ٣٥٠ طالباً بالاضافة الى دار الطلاب في القرفة ومن المقرر انشاء دار مماثلة في ابي الخصيب وفي مركز اللواء.

ولقد احرزت الحركة الرياضية والكشافية في مدارس البصرة نجاحاً ملموساً خلال السنوات الاخيرة وبلغ عدد فرق المدارس الرياضية لمختلف اصنافها ١٤٥ فرقة اشتركت في ١٩٤ لعبة رسمية عدا المباريات الودية التي تقام بين المدارس ومع الفرق الرياضية الاخرى في اللواء.

عن مجلة اهل النفط / 1958

صف مختلط في مدرسة ابتدائية

طالب يتدرب عملياً باشراف استاذه

امتاز العراق بتنوع طوائفه هذه الصور تسلط الضوء على يهود العراق والايزيديين والصابئة الذين شكلوا نسيجا اجتماعيا رائعا

صلاة ليهود في مدينة الكفل وقد بدت خلفهم منارة النبي ذو الكفل ١٩٣٢

طقوس تعميد الصابئة في النهر

يزيديون بملابسهم التقليدية في صورة من العشرينات

رجل دين صابئي يقوم بالتعميد في الخمسينات

خارج المزار الرئيسي لليزيدين ١٩٤٥

ساحة المعبد في العيد السنوي لليزيدين ١٩٤٥

من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث

تقديم

يسر ملحق (ذاكرة عراقية) ان يعيد نشر بعض فصول كتاب رائد ، يعد وثيقة مهمة لتاريخ الحركة الفنية في العراق الحديث ، لمعلوماته الزاخرة وفوائده الجليلة عن صفحات منسية من بدايات اليقظة الفنية في العراق ، كتبه صحفي قدير ، من أوائل المحررين للصفحات الفنية في الصحافة العراقية ، انه الصحفي الراحل عبد المنعم الجادر ، وكتابه القيم (من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث) الصادر ببغداد عام ١٩٥٠ .

وترد في الكتاب أسماء كثيرة لمن عمل في الوسط الفني في العراق ، بكل صوره وأنماطه ، ولا نعرف ماذا حل بهؤلاء الرواد في السنين اللاحقة؟ كما ترد اسماء جماعات واماكن مختلفة لجانب زاهر من جوانب (الزمن الجميل) ، ان الذاكرة العراقية حرية بأستعادة هذه الصور عن هؤلاء الذين نحتوا في الصخر واسسوا شيئا من لاشيء ، وثبتوا دعائم ما شيدوه ، وقدموا للاجيال الطالعة الشيء الجزيل . وتنبيه الجيل الجديد الى ان العراق لم يبخل يوما برفد نهضته الفكرية بكل مشاهدها ، وأن سحابة التقهقر والتخلف والتخندق المظلمة ، ماهي الا سحابة صيف . فالذي لحظناه جسامة النهضة الفنية التي انبثقت في العراق بعد الحرب العالمية الثانية ، وكثرة صالات العرض المسرحي والسينمائي في جميع انحاء العراق ، وتنافس الفرق الفنية والشركات السينمائية المستوردة بتقديم كل جديد ومفيد . ولعل من المناسب ذكره انه في أوائل الستينات ، كان عدد دور السينما في العراق قد بلغ نحو خمسين دارا ، ومن الطريف ان محافظة الديوانية كانت تضم اربعة دور سينما ، بل ان احد الاقضية وهو خانقين قد شهد افتتاح صالة عرض !! . ومن المؤسف حقا ان يبدأ هذا العدد الكبير بالانحسار منذ منتصف السبعينيات حتى آل الامر الى أغلاقها بالمرة على أيامنا هذه وتحولت الى محال تجارية . ولايبدو الامر صعب التفسير ، فبلد مثل العراق تناهبته الحروب والاهواء ، وشعب تناوشته سلطات لاتعرف شيئا اسمه الفن ، وتغلب قيم التخلف والغيبيات والتعصب في الصراع بين البداوة والحضارة (المصطلح الاثيرللدكتور علي الوردي) ، جدير بهذا التقهقر المريع ، وان كان مؤقتا كما ارى .

والاستاذ الراحل عبد المنعم الجادر(١٩٢٩-١٩٧٥) ، بدأ حياته الصحفية في الاربعينيات بعد ان ترك الدراسة في الكتابة عن الافلام الي كانت تعرض في دور السينما ببغداد في جريدة الزمان ومجلة المجالي ، وفي عام ١٩٤٦ اصدر مجلة نصف شهرية بأسم (السينما والمسرح) ، وفي عام ١٩٥٠ اصدر جريدة اسبوعية باسم الشباب ، ثم عمل في صحف مختلفة الى ان أصدر جريدته الذائعة (كل شيء) عام ١٩٦٣ ، وبعد اغلاقها بصدور قانون الموسسه العامة للصحافة عمل محررا في جريدة الجمهورية ، والصفحة الاخيرة فيها وكانت من افضل الصفحات المنوعة في الجرائد العراقية يومئذ ، الى وفاته في اواخر حزيران من عام ١٩٧٥ . كتبت مجلة الاذاعة والتلفزيون في تأبينه : ... مات عبد المنعم الجادر ، ذلك الشاب الذي لايكتهل ، وسكن ذلك المرح الصادق ، هل كان حقا ان يموت الشاب ويترك حسرة وغصة في قلوب أحبته . لقد بقيت محموعته الشعرية التي أصدرها قبل موته بفترة قصيرة بين ايدي اصدقائه ، يقراون حروفه التي سطرها من قلبه ، في رحلاته وفي ساعات تعبه ويقظته ..

عرفته المجالس الادبية ببغداد متحدثا لبقا وشخصية محببة للجميع بابتسامته وظرفه ، وكانت مجالس الطبيب عبد المجيد القصاب وجعفر الخليلي وناجي جواد الساعاتي الاثيرة لديه ، وأضفى عليها اجواء البسمة والحب . وقد ترك عددا من المؤلفات القيمة: ١ . تاريخ المسرح والسينما في العالم ٢ .فنانون عالميون ٣ . من تاريخ النهضة الفنية في العراق الحديث ٤ . قصائد وقصص ٥ .ثورة للمعارك والحب والشعر .

عبد المنعم الجادر

(9) مدارس وفنون

عرفت الامم مقدار ما تقدمه الفنون من فوائد ثقافية واخلاقية، فاعطتها حقها من التقدير والتشجيع، وخاصة حكوماتها، والحال عندنا كذلك "نسبيا". فقد عرفت وزارة المعارف الجليلة شدة تأثير الفنون في اخلاق الطلاب فشجعت الجمعيات الفنية والمدرسية.. ورأينا جميع الممثلين المسرحيين العراقيين والرسامين وغيرهم، بعد تخرجهم من المدارس العامة قد اكتسبوا خبرة نسبية في الفنون، فالفنان الذي اعتلى المسرح المدرسي مرارا. صعد المسرح الخارجي بكل جرأة وشجاعة، والرسام الذي رسم بعض اللوحات ايام دراسته قد عكف على درس هذا الفن بصورة اوفى واوسع بعد خروجه من مدرسته.. وهكذا نرى مبلغ ما قدمته المدرسة من خدمات فنية قوية لطلابها.

ولو زادت وزارة المعارف من التفاتها نحو الفنون المدرسية، لصار للفنون شأن كبير بين صفوف الطلاب.. واهم ناحية فنية حضت باهتمام الطلاب في مدارسهم هو "التمثيل". فشاهدنا فرقا تمثيلية فنية تقدم مسرحيات قوية . بحيث ضاهت بقوتها وفنها بعض الفرق التمثيلية المحترفة. وظهر في الطلاب بعض المواد الفنية الخام، التي لو صقلت لافتخر العراق بها.

وها نحن نذكر بعض المدارس التي سبقت زميلاتها بفن التمثيل مع اسفنا عن عدم ذكر البعض الآخر. لعدم استطاعتنا الحصول على تاريخ نهضاتها الفنية.

ثانوية الاعظمية:

بالرغم من حداثة مسرح ثانوية الاعظمية، وجمعياتها الفنية، فقد استطاع طلابها، تقديم مسرحيات رائعة، ولقد صدق من قال: اذا توفرت المواد الخام الجيدة، فقد كان الانتاج جيد والبضاعة حسنة وهذا المثل الاقتصادي انطبق على هذه المدرسة، فقد توفرت فيها المواد الخام الجيدة من الادباء والفنانين، فانتجوا انتاجا فنيا، يحسدون ويشكرون عليه، وقد اشرفت على نواحي الفن المختلفة هيئة تدريس حازمة في اعمالها قوية في فنها. وبذلك في سبيل احياء الفنون في المدرسة انفس الجهود، فتألفت لجان ثلاث هي "لجنة الثقافة" و"اخوان المسرح" و"لجنة الفنون الجميلة". وقد اخذت هذه اللجان تعمل كل حسب اختصاصها، فاصدرت "لجنة الثقافة" النشرات واقامت الحفلات الادبية، ووزعت الجوائز الثمينة، وقد فاز بالجائزة الاولى الطالب "نزار الخوجة". ويشرف على شؤونها الشاعر الاستاذ "مهدي العبيدي" ويترأسها عبد الجبار محمود، وسكرتيرها الطالب "قاسم عبدالباقي".

اما لجنة "اخوان المسرح" فقد قدمت اروع المسرحيات الفنية نذكر منها "ابطال من فلسطين" و"تباريح" ومسرحيات اخرى، كانت من تأليف الطالب "وليد شوكت". الذي كان يقوم باخراجها وتمثيل ادوار البطولة فيها، وقد شهد له بالبراعة كل من شاهد تمثيله.

وتتألف هذه اللجنة من الطلاب: فالح زكي، اسامة عبد الحميد، عبد الباقي الدوري، جمال عبد المجيد ، سهيل عبد اللطيف، وقد ترأسها لهذا العام الطالب "عبد الباقي الدوري".

وقد قدمت في الايام الاخرة مسرحية "ليلة من شهرزاد" اشترك في تمثيلها : فالح زكي، جلال حمدي، عبدالباقي الدوري، جمال بهاء الدين.. واختتم الحفلة من الطلاب المطربين "نزار صبري، وصلاح عبد المجيد".

وسوف تقدم اللجنة المذكورة مسرحية "عدالة أب" تأليف "وليد شوكت".

اما لجنة "الفنون الجميلة" فهي دعامة اللجان وحصنها الحصين.. وتضم بين جوانحها نخبة ممتازة من الادباء والفنانين ففيهم الرسام والنحات والموسيقار والمطرب والممثل، فهي عدة لجان في لجنة واحدة، ورئيس هذه اللجنة هو الطالب "ثابت الجادر" ويشرف على قسم الرسم فيها ايضا.. وتتألف من الطلاب "دنس هذرلي، سهيل عبد

ألتقطت هذه الصورة عندما تم وضع الحجر الاساس لبناية مدرسة التفيض الاهلية

اللطيف" ولجنة النحت، ولجنة الموسيقى وغيرها كلها في هذه اللجنة، وتتألف هذه اللجان من الطلاب "فاروق اسماعيل، عازف الكمان، ومحمد حسن عبدات، عازف العود، وسامي محمد صالح، عازف الناي، وعازف الهارمونيكا، دنس هذرلي، وعدنان امين، ضارب الطبلة، ومن المطربين: محسن عيدان، واديب قاسم، ونزار صبري".

ولجنة التمثيل في "الفنون الجميلة" يترأسها الطالب "عبدالله عبد الوهاب" واعضاؤها: خالد سعيد الاعظمي، وهو بمثابة سكرتير اللجنة ، ومحسن عيدان، وسهيل عبداللطيف، ومحمد الضامن.

ومن الطلاب الذين امتازوا بقدرتهم على التأليف المسرحي فهم خالد سعيد الذي قدم مسرحية "عائلة تتهدم" وعبد الله عبد الوهاب الذي قدم مسرحية "نهاية محرم".

باشراف الاستاذ الشاعر: شاكر الخفاجي ولمسرح المدرسة مركزه الممتاز في خدمة الفن التمثيلي.

فلقد قدمت كثيرا من الفرق والجمعيات الفنية حفلاتها المسرحية ومن هذه الفرق: جمعية اخوان التمثيل والسينما، والجمعية الفنية للتمثيل والسينما وفرقة كلية الملك فيصل الفنية.. واعظم فخر احرزه مسرح المدرسة هو يوم قدمت عليه مدارس الاعظمية مهرجانها الكبير الذي اقامته في ٢ ايار الماضي، ومثلت فيه مسرحية "حلاق اشبيلية".

كما قدمت فرقة دار المعلمين الابتدائية مسرحية "قيس وليلى" باللغة العامة، وكذلك فرقة تطبيقات دار المعلمين، "اوبريت فصول السنة"، وسوف نشاهد على المسرح كثيرا من المسرحيات القوية، العراقية والمترجمة.

مدرسة التفيض:

تعتبر مدرسة التفيض معهدا فنيا تخرج منه كثيرا من الفنانين الذين كان لهم اكبر الاثر في النهضة الفنية العراقية، فقد كان ممن دخل المعهد كثيرا من طلاب مدرسة التفيض.. كما كان فيهم الصحافي الفني والناقد الفني والمذيع والممثل والمخرج والرسام والنحات.. وقد مضى على مدرسة التفيض وقت كانت النهضة الفنية قد بلغت اعلى درجاتها فيها ويكفينا ان ندلل على صحة كلامنا ان من خريجيها وطلابها: حقي الشبلي، وفاضل عباس، وعبدالله العزاوي، وحميد المحل، وحامد الاطرقجي، وطالب مصطفى، وحافظ القباني، وغيرهم كثيرون جدا من الشخصيات الفنية.. وقد ذكر الاستاذ فاضل عباس رئيس جمعية بغداد الفنية ارقام خيالية عن ارباح حفلات مدرسة التفيض، التي كانت تقيمها المدرسة، فقد جمعت ارباح حفلات قليلة وشيد بها بناية مدرسة التفيض الحالية.. ثم مضت مدة قصيرة كانت الحالة الفنية فيها خاملة، وبقيت هكذا حتى عاد الانتعاش اليها. وقد كان من جراء وجود الاستاذ ابو الفتوح استاذا في المدرسة اكبر الاثر في هذا الانتعاش وهذا التقدم الفني.

ومن ابرز ما قدمه للمدرسة من خدمات فنية بارزة هو اخراجه وتقديمه مسرحية "سليمان الحكيم" التي حازت النجاح الهائل الذي ما كان يحلم به احد ويكفيها فخرا انها حازت شرف حضور حضرة صاحب السمو الملكي الوصي وولي العهد المعظم، وكان مدير المسرح والانارة سيمون العماري، ورسم مناظرها الفنان حميد المحل، وعمل مكياجها الفنان جوري وحميد المحل ووضع موسيقاها التصويرية حامد الاطرقجي، وركب المناظر المسرحية الفنان فاطان، ولقد مثلت ثلاث مرات في بغداد ومرتين في قضاء الخالص ومرة في مدينة خانقين وبقي الجمهور يلح في طلبها، وفي جميع المرات التي مثلت بها كانت القاعة مزدحمة، والتمثيل على اروع صورة، وكما نالت هذه المسرحية النجاح فقد نجحت مسرحيتان قدمها الاستاذ ابو الفتوح نجاحا منقطع النظير.

ومن المسرحيات التي مثلت على مسرح التفيض هي "فمييز" لاحمد شوقي، مجنون ليلى، لاحمد شوقي ايضا، الشمعدانات الثلاثة، لفكتور هوجو، وغيرها كثيرا من المسرحيات. ومن المسرحيات التي قدمتها الفرق والجمعيات الفنية على مسرح التفيض: قاتل اخيه، قدمتها جمعية النهضة الفنية، وفي سبيل التاج قدمتها جمعية اخوان التمثيل والسينما، ورسول الملك، قدمتها الجمعية الفنية للتمثيل والسينما.. وقد قدمت كثيرا من الجمعيات والفرق الفنية حفلاتها على مسرح المدرسة نذكر منها: فرقة بغداد، فرقة دار المعلمين، فرقة الزبانية، جمعية البر والرعاية، الفرقة الوطنية وغيرها كثيراً..

ويعتبر مسرح التفيض اقوى مسرح مدرسي من حيث النظام والديكورات والبناء، وقاعته فخمة واسعة.. وقد كان للتمربي الفاضل المرحوم حسين العاني، اكبر الفضل في انشائه وفي تشجيع الروح الفنية في المدرسة.. وبموت الاستاذ المرحوم حسين العاني، انتكست الحركة الفنية في المدرسة. لو لا بعض الاساتذة والطلاب الذين اخذوا يعملون على انعاشها ودفعها الى اعلى، فعسى ان يستطيع هؤلاء الافاضل التضحية ولو بشيء ضئيل لرفع مستوى الفن في مدرستهم التي كانت "وستبقى بعون الله" اقوى ناشرة للروح الفنية..

مدرسة الفنون المنزلية:

تأسست هذه المدرسة ١٩٣٢ – ١٩٣٣ وعند افتتاحها كانت تحتوي على صف واحد بلغ عدد طالباته ٥٨ طالبة. وقد كان الاقبال عليها شديدا، وعندما رأى المسؤولون في وزارة المعارف الجليلة كبير فائدة هذه المدرسة فتحوا في السنة التي بعدها ١٩٣٣ – ١٩٣٤ صفا ثانيا وعند فتح الصف الثاني بلغ مجموع الطالبات في المدرسة ١٢٦ منهن ٨٠ في السف الاول و٤٦ في الصف الثاني.

والذي يقرأ اسم المدرسة "مدرسة الفنون البيتية" يدرك لاول وهلة انها مدرسة فنية بكل ما في كلمة الفن من معنى.. ففي هذه المدرسة تدرس جميع انواع الفنون.. فهناك تدرس فنون: الموسيقى والرسم والنحت والاعمال اليدوية "كالحياكة والخياطة والتريكو وغيرها" والطبخ الخ .. الخ..

ويشرف على ادارة المدرسة مربيات صالحات قديرات.. فالمديرة والمساعدة والمدرسات كلهن من الفتيات العراقيات المثقفات اللواتي تخرجن من مدارس العراق وجعلن من انفسهن رسلا للثقافة والاداب والفنون..

ويؤم هذه المدرسة فتيات من اقصى الجنوب الى اقصى الشمال من عراقنا الحبيب، وكلهن متلهفات لارتشاف مناهل العلوم والفنون..

وقد تخرج من هذه المدرسة كثيرا من الفتيات ومن هؤلاء من ارسلن في بعثات لدراسة الفنون بصورة اوسع الى لندن وباريس والقاهرة وانقرة..

وكم اقامت ادارة المدرسة اسواقا خيرية وحفلات فنية خاصة عرضت فيها الطالبات رائع فنهن من لوحات زيتية قوية، ومطرزات ممتازة دلت على مدى تعمق الطالبات وتمكنهن من دروسهن..

وكان اعظم ما تفتخر هذه المدرسة به هو مساهمتها مع طالباتها ومربياتها النبيلات في جميع الاعمال الخيرية الوطنية من خياطة وحياكة وغيرها للجهات الخيرية، وعند وجود اولادنا البواسل في الاراضي المقدسة قدمت المدرسة كثيرا من الهدايا التي صنعتها ايادي طالباتها النجيات لاخوانهن المقاتلين.. وهكذا للاجئين الاعزاء ولقوات الشرطة الباسلة والهلال الاحمر وحماية الاطفال...

ومناهج الدراسة في المدرسة فرعين: علمي وفني ويحوي المنهج على تدريس: اللغة العربية واللغة الانكليزية، والاجتماعيات والكيمياء والفيزياء والرياضيات.

اما القسم الفني فيحتوي على تدريس: الرسم والموسيقى والخياطة والرياضة البدنية، والخياطة والاشغال والنشيد بالاضافة الى مادة مهمة جدا وهي الدين.

وفي المدرسة خمسة صفوف للاول ثلاثة شعب "أ، ب، ج" وللثاني شعبتين "أ، ب" وللثالث والرابع والخامس شعبة واحدة.

ثانوية البصرة:

وثانوية البصرة ايضا تعتبر من المدارس القوية في الفنون ففيها كثيا من اللجان الفنية، ومسرحها يعتبر من المسارح المدرسية الرااقية، وقد قدم طلابها مسرحيات عالمية ومحلية راقية وكثيرة.

وكم سافرت فرق وجمعيات فنية الى البصرة، واقامت مهرجاناتها وتمثيلياتها عليه، وقاعة المدرسة واسعة جدا تستوعب لمئات المتفرجين والمدعوين.

مثلت على المسرح جمعيات كثيرة نذكر منها: "جمعية اخوان التمثيل والسينما"، و"الفرقة الشعبية"، "جمعية النهضة"، "الفرقة العربية" وغيرها.

من المسرحيات التي قدمت على المسرح "جريمة الاباء، لقيط الصحراء ، الجب، الهاوية، وغيرها كثيرا من المسرحيات المترجمة والمحلية".

دار المعلمين:

اما دار المعلمين فقد بلغت النهضة الفنية هناك القمة، فالمواسم الفنية تجري طول السنة بلا انقطاع، فهذا معرض للرسم ، تعرض فيه افخم اللوحات الفنية، ويؤمه ارقى الجمهور، وهذه حفلة تمثيلية، تقدم فيها اروع مسرحية، وطلابها يمثلون المسرح ويقدموا احدث ما وصل اليه المسرح من ادارة وتمثيل.

ويشرف على الفنون هناك اساتذة تشبعت روحهم بالاداب والفنون وترى في طول السنة الدراسية محاضرات فنية وادبية تلقى على منبر المدرسة وخاصة في التمثيل، وكم القى الاستاذ الشبلي محاضراته الفنية القيمة التي يتلقاها الطلاب بكل شغف وشوق لما يعرفونه عن قيمة التمثيل في محاربة الامراض الثلاثة "الجهل، الفقر، والمرض".

دار المعلمين العالية

خالد سعيد

عبد الله عبد الوهاب

سهيل المعروف

عبد الجبار السيد محمود

جسر الكوفة الحديث

مستشفى الفرات الاوسط

من مظاهر التقدم
الكوفة الحديثة

انيس زكي حسن

الجسر الحديث في الكوفة وهو يقع في مدخل المدينة

من رأى الكوفة منذ خمسة اعوام ورآها اليوم رأى ولمس معجزة جبارة وقفزة هائلة في مضمار التقدم والرقي والازدهار..

فقد كانت قرية صغيرة تحاذي شاطئ الفرات، طرقاتها وعرة وبيوتها صغيرة غير منتظمة، تشرب من ماء النهر مباشرة ويتطبب اهلها في مستوصف صغير متواضع ويربطها بمدينة النجف الاشرف خط متهدم تسير عليه عربات (ترام) عتيقة تجرها الخيول..

وتزورها اليوم فلا تعبر الفرات على الجسر المتداعي الذي ينهض على الطوافات وانما تشرف عليها من علياء جسر شامخ حديدي متين البناء ضخم الركائز بديع الانوار يبدأ من ساحة واسعة جميلة التنسيق وينتهي الى رفيقين رائعين احدهما نادي المتنبي للموظفين بحدائقه الغناء وهو يقع على اليسار ثم تلتفت الى يمينك فيطالعك مبنى ضخم عال تحيط به حديقة كبيرة وارفة الظلال انتشرت فيها الارائك المريحة هو مستشفى الفرات الاوسط الذي يتسع لاكثر من اربعمائة مريض هم نزلاؤه الان فعلا والذي يخدم الانسانية فيه اطباء وجراحون واختصاصيون بالعشرات وموظفون صحيون بالمئات وادوات حديثة بالالاف..

فاذا انعطفت ناحية اليمين ايضا وجدت نفسك في شارع مطل على النهر مسلح بسداد متين ومزين باشجار الصفصاف قد يزيد طولا على شارع ابي نواس في بغداد او على كورنيش البصرة الشهير! وعلى جانبه الاخر تقوم الحياة الاقتصادية بمعاملها ومخازنها وتجارها وصناعها بينما تشمخ السفن النهرية باشرعتها والبواخر النهرية باعلامها المرفوفة على صفحة النهر وهي تحمل خيرات العراق من المزارع والبساتين الى المستهلكين في الداخل والخارج.

ثم تصغي فتسمع ضجة الالات وصخبها وتطالعك خزانات هائلة واحواض جبارة فاذا سألت قيل لك هذا اضخم مشروع لاسالة المياه في الشرق! وتسير حتى تشم عبير الحقول وتسمع هسهسة السنابل وتصغي الى صرير دواليب النواعير فتتنسم عبير حياة الفلاح الحرة الكريمة وتحس حولك بالعمل المنتج ما بين حارث وزارع وقاطف او اعرابية تقود قطيعا من الماشية الى النهر..

وفي تلك المنطقة الهادئة يقوم القصر الملكي في الكوفة جميل البناء واسعا غارقا بين الحدائق والاغصان المثمرة..

ثم تترك الشاطئ وتتغلغل في شارع واسع رائع تتلألأ فيه مصابيح الفلورسنت الهادئة وتحضنه البساتين واشجار النخيل والبرتقال بلطه مجلس الاعمار منذ اسابيع باحدث الالات الفنية وزوده الذوق العراقي البديع بالساحات والارصفة على احدث طراز واجمل تنسيق، ثم تجد نفسك بين مئات من الدور المخططة التي يتهمك اهلها مع العمال في بنائها لهم ولمستقبل اولادهم بعد ان شجعتهم الحكومة بمشاريعها الضخمة الرائعة فخلقت لهم منطقة واسعة جديرة بالسكنى حتى امتدت الكوفة فاتصلت بمسجدها العظيم المشهور الذي كان امير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام عنه يتدفق من أعلى منبره بحكمه المأثورة وعطائه الرائعة.

وتجد نفسك في ساحة واسعة جدا تنتهي اليها جميع الشوارع وتلتمع فيها الانوار تتوسطها روضة مزدهرة ويطل عليها مسجد الكوفة الشهير بواجهته الرائعة التي مايزال الصناع المهرة يعملون فيها مدفوعين بدافع الايمان والضمير الانساني الذي تثيره فيهم مشاعر الدين النبيلة الرائعة قبل دافع الاجر، ثم تنطلق من اعلى المأذنة صيحات المؤذن تسبح لله وتدعو الناس الى الصلاة فتشعر وكانك قد ابتعدت عن هذه الحياة الدنيا وعشت في عالم آخر من الوئام تحتضنه السعادة ويشيع فيه الاطمئنان والرضا.

وفيما انت مسحور بهذه وذاك من المناظر الرائعة الاخاذة ترى من حين لآخر تلك السيارات الجميلة الحديثة التي تمتاز بارائكها المريحة ونظامها البديع وهي تنقل الناس بارخص الاثمان بين الكوفة والنجف الاشرف وتسأل عنها فيقال لك انها تابعة لمشروع الباصات الجديد الذي انشاته الحكومة منذ اشهر..

ولقد تعود الى تصميم الكوفة فتجدها في اعماقها قد حافظت بعض المحافظة على اساليبها القديمة فترى باعة الاقمشة يملأون الاسواق وهم يتربعون على السجاد الثمين بين اكداس اقمشتهم الزاهية الجميلة الى جانب ذوي المهن الاخرى.

وتحس ايضا وانت ترى ان العمل ما يزال قائماً هنا وهنالك انك يجب ان تعود الى الكوفة بعد اشهر لترى كيف تتمشى الروح الجديدة فيها وكيف ستصبح الكوفة بين عشية وضحاها مدينة تضارع بجمالها وتنسيقها ومرافقها اجمل مدن العراق.

اما انا فقد آمنت بان العراق يبني المستقبل وبان في العراق شعبا سيصل بهذه الروح وهذا الاصلاح وهذا العهد الجديد الى ارقى درجات الرقي الاجتماعي.

الكوفة
تموز 1955

من تاريخ التلفزيون في العراق

اول عملية نقل خارجي بالصورة والصوت

حافظ قباني
مذيع عراقي راحل

ان توثيق هذه الفترة من العمل في التلفزيون يستوجب الدقة والانصاف وذكر كل صغيرة وكبيرة قد يستفيد منها الباحث والدارس لهذه الامور.. فالانصاف يلزمنا ان نذكر بالتقدير والاحترام ذلك الدور المهم والبالغ الحساسية للمذيع العراقي كعنصر مهم من عناصر بناء التلفزيون.

اذ ظهرت صورة المذيع العراقي الرائد الاستاذ محمد علي كريم على شاشة التلفزيون لاول مرة في المنهج الذي عرض في المحطة التجريبية في التفزيون التي اقيمت في احد اجنحة المعرض الصناعي البريطاني ١٩٥٤ في كرادة مريم ولم تفارق صورة المذيع شاشة التلفزيون منذ ذلك الحين مرورا بيوم افتتاح محطة التلفزيون في الصالحية عام ١٩٥٦ عندما افتتحها الملك فيصل الثاني حيث تم نقل وصوله الى باب الاذاعة ثم دخوله استوديو التلفزيون وهذا النقل التلفزيوني يعتبر اول عملية نقل خارجي بالصوت والصورة في العراق يوم ٢ مايس ١٩٥٦.

ان عمل المذيع الذي جاء من الاذاعة الى التلفزيون منذ افتتاحه لم يكن مقتصرا على قراءة نشرة الاخبار فقط بل تعداه الى كتابة وقراءة التعليق على الافلام السينمائية المحلية مثل سلسلة الجريدة السينمائية الناطقة بعنوان (بلادنا) الذي كان يبث بعد الساعة الثامنة من التلفزيون بحدود سنة ١٩٥٨ وحلقات من الفلم المحلي الذي كانت تنتجه شركة العراق I.P.C والتعليق كذلك على الذي كانت تنتجه شركة نفط العراق وتعليق اخر على فيلم تصوره وحدة الافلام التابعة للتلفزيون وهو فلم يومي يعرض بعد نشرة الاخبار ضمن برنامج (اخبار محلية) هذا بالاضافة الى ان المذيعين على قلة عددهم كانوا يساهمون في ادارة الحوار في الندوات كما يكتبون ويدون ويقدمون البرامج التلفزيونية.. وهكذا استحقوا عن جدارة ان تكون علي كريم وسعاد الهرمزي وعادل نورس وحافظ القباني وقاسم نعمان السعدي.. وكان عمل هؤلاء المذيعين يبعث على الاعجاب والتقدير لانهم اسماؤهم في قائمة (الاذاعيون بناة التلفزيون).

ومن اشهر الاسماء التي برزت انذاك على الشاشة الاستاذ محمد مارسوا العمل دون كلل او ملل في ان واحد بين الاذاعة والتلفزيون.. اما الاذاعيون الاخرون الذين عبروا الى التلفزيون فكانوا من بناته ايضا منهم كتاب التمثيليات والبرامج الخاصة والممثلون.

هؤلاء بدأوا يكيفون ما كتبوه للاذاعة سابقا الى الشكل التلفزيوني بالمضامين الاجتماعية التي قدمت في الاذاعة الصوتية.. ومن اوائل هؤلاء الفنان المجتهد (خليل الرفاعي) فهو من اوائل الذين اشتركوا في الكتابة للاذاعة وكان ذلك في ١٩٤٨، وكذلك الفنان حامد الاطرقجي الممثل السينمائي والمسرحي والاذاعي.. وقد انتقل ايضا الى قائمة البناة في التلفزيون.. وقد رافقه في انتقاله الرسام المشهور والممثل حميد المحل.. ولابد لي من التنويه بان فرقة (تمثيلية) بكاملها مارست العمل في الاذاعة عام ١٩٤٨ وساهمت مساهمة فعالة في كتابة تمثيليات اجتماعية كوميدية انتقادية للتلفزيون.

مجلة الاذاعة والتلفزيون 1977

زكي مبارك

بعض ما رأيت في العراق

من كتابه (وحي بغداد)

عبد الرزاق الهلالي

أيها السادة..

تفضلت الاذاعة اللاسلكية فدعتني لالقاء محاضرتين عن العراق، فرأيت ان اقسم الموضوع الى قسمين: الاول اصور به بعض ما رأيت في العراق، والثاني اصور به الحياة الادبية في العراق. وابدأ فاذكر ان هجرتي الى العراق لم تكن تخطر بالبال، فقد كانت لي في مصر شواغل تصرفني عن التفكير في ذلك، ثم فوجئت بالدعوة الى خدمة العلم في العراق في مطلع شهر اكتوبر من السنة الماضية، فترددت في قبول الدعوة، ثم قلت في نفسي ان من العقل ان اعرف جوانب من الشرق بعد ان عرفت جوانب من الغرب، وصح عندي ان الهجرة الى العراق قد تشرح دقائق الادب في العصر العباسي، ليس من المقبول ان يصح لمثلي ان يصف باريس عن علم ويصف بغداد عن جهل!.

وما هي الا ايام حتى كنت في طريقي الى العراق، ولعلي كنت المصري الوحيد الذي لا يطل بينه وبين المفوضية العراقية اخذ ولا رد في شروط العمل بالعراق.

ولكن كيف اصل الى العراق؟

كانت هناك مسالك للوصول: الاول الوصول بالطيارة، وهو اسهل الطرق، لانه يمكن المسافر من الفطور بالقاهرة والعشاء في بغداد، ولكني تذكرت اني اعطيت جماعة من تلاميذي موضوعا للانشاء منذ عشر سنين عن (خطر انعدام المسافة في العصر الحديث) وكنت ارى ان الطيران قضى على جانب مهم من الادب الوصفي فلن يكون في الدنيا بعد اليوم رجل مثل ابن بطوطة ولا رجل مثل جان جاك روسو، وانا ارى الشرق العربي اول مرة، فليس من المفيد ان اسافر في طيارة فاحجب عما فيه من انهار ومدائن وسهول!

الطريق الثاني هو طريق البحر من الاسكندرية الى بيروت وهو يعطي الفرصة لرؤية لبنان وسورية، ولكنه يحرمني رؤية فلسطين ويحسني في البحر يوما وبعض يوم، وانا ركبت البحر الى اوروبا اكثر من عشر مرات وشبعت منه وشبع مني!

الطريق الثالث هو السفر من القاهرة الى القنطرة لاختراق فلسطين بالقطار حتى اصل الى حيفا ومنها الى بيروت ثم الى الشام ثم الى بغداد.

ولكن طريق فلسطين كان في ذلك الوقت محفوفا بالمكاره، فقد كانت البرقيات تحدثنا ان الثوار ينسفون القطارات، فلم يصرفني ذلك عن المرور بفلسطين، لاني كنت احب ان ارى البلاد التي يقتتل حول خيراتها العرب واليهود، وقد نهاني بعض الزملاء المسافرين الى العراق فلم انته، وتفردت بتلك المغامرة لاكحل جفني برؤية فلسطين.

وصلت الى القنطرة في ليلة قمراء توحي غرائب الشعر والخيال، فعلمت ان القطار سيتاخر قيامه من هناك ثلاث ساعات حتى لا يدخل فلسطين الا مع ضوء الصباح، تجنبا لمخاطر التعرض لنسفه بالليل. وكذلك عرفت ان من نهوني عن المرور بفلسطين لم يكونوا مخطئين.

قضيت ساعات في مناجاة قناة السويس والتأمل فيما صنعت مصر لخدمة الانسانية، الانسانية الجاحدة التي جهلت ما قدمت مصر من جميل.

وقفت انظر كيف خدمنا بني ادم وكيف اتعبنا اجسادنا وافقرنا جيوبنا لنسهل وسائل النفع ولنصل بين المشرقين والمغربين، ثم لا نجد من يتفضل بكلمة ثناء.

وسار القطار قبيل الصبح فبخلت على عيني بالهجود لارى اطراف مصر من ناحية المشرق ولانظر بساتين فلسطين.

ولم يكفني ما رأيت من فلسطين في الذهاب فقررت المرور عليها في الاياب لاتمتع باختراقها مرتين ولاقتنع بانها بلاد جميلة جذابة تستحق ما ثار حولها من النضال.

ولم ابت في فلسطين الا ليلة واحدة عند الرجوع، وكانت ليلة متعبة، فقد كان محرما على اهل حيفا ان يتجولوا بالليل، وكان من الحزم ان اقضي سهرتي في رحاب الفندق وان حرمني ذلك شهود المجتمع الفلسطيني في تلك المدينة البيضاء.

واعود فاقول اني امتطيت سيارة في ذهابي من حيفا الى بيروت وفي بيروت قضيت ليلة واحدة كانت ابقى اثرا من الليالي الطوال.

مضيت اتنقل في بيروت من مكان الى مكان بعد ان القيت امتعتي في الفندق، ثم اتفق ان عرفني بعض الادباء هناك فساقني ذلك الى زيارة اكثر الجرائد واندفعت فجاذبت اهل بيروت اطراف الحديث وعرفت الوانا من عتابهم على مصر والمصريين، وقد تعقبوني بعد ان وصلت الى العراق فكان بيني وبينهم مناوشات ستعرفون اخبارها حين انشر كتاب (وحي بغداد).

ومن بيروت رحلت الى دمشق مخترقا جبال لبنان فرأيت من جمالها الاعاجيب، ولا ازال مفتونا بما شهدت في الموضع المعروف بسهل البقاع. وفي دمشق رأيت الاستاذ محمد كرد علي والاستاذ عبد القادر المغربي وزرت بعض الزعماء وقضيت لحظات في مناجاة نهر بردي الذي خلده حسان.

ثم اسلمت نفسي الى سيارة (نيرن) لاقطع الصحراء بين الشام والعراق ولارى بنفسي كيف شقي اسلافنا بمخاطر البيداء.

كنت اعرف اني ساقضي اكثر من خمس وعشرين ساعة في ذلك السجن المتحرك، وكان ذلك يغرق نفسي في بحر من الانقباض، ولكن كان يعزيني ما عرفت من اننا سنستريح في كل مدينة تصادفنا في الطريق، ولم يكن في الطريق مدائن وانما هناك محطتان هما الرطبة والرمادي.

وبعد ساعات من عبور الصحراء نظرت فرأيتنا مقبلين على مدينة فيحاء، مدينة تقع على نهر واسع تجري فيه سفائن بخارية وشراعية، فانشرح صدري وقلت سنستريح لحظات ثم عجبت من جهلي بالجانب الجغرافي من ذلك الطريق، فما كنت اعرف ان هناك مدينة تقع على نهر عجاج، وترحمت على استاذي اسماعيل بك رافت الذي اسقطني في امتحانات الجامعة المصرية مرتين لقلة ما كنت اعرف من دقائق علم الجغرافيا وعلم وصف الشعوب.

ولكن لم تمض غير دقائق حتى اختفت تلك المدينة مرة واحدة فعرفت انها كانت اضلولة من اضاليل السراب!

وبعد نصف ساعة لاحت مدينة جديدة، فتاملت مرة ومرتين ومرات فتاكدت انها مدينة حقيقية، وكنت كلما اقتربت منها زدت يقينا باننا سنستريح بعد لحظات، وتمتاز تلك المدينة بما يكثر فيها من منارات المساجد وابراج الكنائس، وبما يحيط بها من حدائق وبساتين، وقد نظرت فرأيت حولها فرقة من الجيش تسير نحو الشرق، وفوق ذلك الجيش يحلق سرب من الطيارات.

ما اسم تلك المدينة؟ ولم نذلك الجيش؟ ولاي غرض يتجه نحو الشرق؟ آه من جهلي بدقائق علم الجغرافيا وعلم وصف الشعوب!

كنت استطيع ان اسأل بعض المسافرين عن تلك المدينة، ولكني خجلت من السؤال. فقد كان فيهم من يعرف اني ذاهب لخدمة العلم في العراق، ومن كان في مثل حالي لا يليق به ان يجهل هذه البسائط الجغرافية.

وما هي الا دقائق حتى اختفت هذه المدينة وعرفت انها كتلك: اضلولة من اضاليل السراب.

ولكن خداع السراب لم يستمر طويلا، فقد اقبلنا على واحة كثيرة النخيل، قد انتشرت فيها منازل صغيرة اكثرها اكواخ، وفيها الوان من الحيوان اكثرها الابل والشاة، وفيها عدد قليل من الاعراب.

لم اطرب كثيرا لظهور هذه الواحة، فقد كنت استبعد ان نقف عندها لحظة او لحظتين فما فيها – فيما اظن مطاعم ولا مشارب حتى يستريح بها المسافرون.

ولكنها على كل حال فرصة للنزول، وساقترح الوقوف عندها بضع دقائق.

آه، ثم آه، هذه ايضا اضلولة من اضاليل السراب.

ولكن هذه الاضاليل ستقفني بعد اشهر موقفا سخيفا جدا، ستكون حفلة الافتتاح للمؤتمر الطبي العربي في بغداد، وسيكون فيها الوزراء والنواب والاعيان وكبار الاطباء، وسيلقي الاستاذ علي الجارم بك قصيدته في تحية المؤتمر فيقول في وصل البيداء:

طالت بنا الصحراء حتى خلتها ابد الابيد
يتخلص المرمى البعيد بها الى مرمى بعيد
كتخلص الحسناء من وعد طوته الى وعود

فاصرخ: اعد يا استاذ، اعد الكلام عن وعود الحسان!

وعندئذ يتلفت الحاضرون فيرون الدكتور زكي مبارك هو الذي يستعيد، فيقول بعضهم لبعض: هذا مجنون ليلى، ولا حرج على المجانين!

وعذرهم في اللوم مقبول فما عرفوا من اضاليل السراب مثل الذي عرفت!

×××

ثم وصلت الى الرطبة تعبان فلم اذق معنى للراحة هناك.

وبعد نصف الليل قضينا مدة في الرمادي فذقت اول مرة طعام العراق.

وبعد الفجر رأيت افواج الفلاحين وهم يسيرون بمواشيهم الى حقولهم على الاسلوب الذي يجري عليه الفلاحون المصريون.

وبعد تفتيش الامتعة اخذت سيارة لادخل بغداد بعد ان بقيت في ذلك السجن المتحرك مدة طويلة رأيت فيها الشروق والغروب ثم الشروق.

×××

الله اكبر ولله الحمد!

هذه بغداد التي قأت عنها ما قرأت، وسمعت في وصفها ما سمعت.

وهذا هو الجسر الذي قال في مثله ابن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

اعدن لي الشوق القديم ولم اكن
سلوت ولكن زدن جمرا الى جمر
وذلك خيال باب الرصافة الذي تشوق اليه
ابن نبانة السعدي فقال:
سقيا لتغليسي الى
باب الرصافة وابتكاري
ايام اخطر في الصبا
نشوان مسحوب الازار
حجي الى حجر الصرا
ة وفي حدائقها اعتماري
ومواطن اللذات اوطا
ني وادار اللهو داري

وما كدت اضع امتعتي في الفندي حتى اخذت عربة ومضيت فسلمت على وزير المعارف فراعني ان ارى شيخا معمما اسمر الوجه فصيح الحديث، وقد سألني عن الصحراء، فاظهرت تألمي لما كابدت وعانيت، فقال: اشكر ربك، فقد قطعتها قبلك في مدة دامت خمسة وعشرين يوما قبل ان تعرفها السيارات، وكان حديثا ممتعا عرفت به من خصائص الصحراء ما لم اكن اعرف.

ومضيت فقيدت اسمي في ديوان حضرة صاحب الجلالة ملك العراق، وانتقلت فسلمت على فخامة رئيس الوزراء، واسرعت فالقيت الدرس الاول في دار المعلمين العالية وانا بغبار الطريق.

سلام الله وسلام الحب على ايامي في العراق

كنت في البداية اظن انني ما حضرت الا لتدريس الادب العربي، فحبست نفسي بين المدرسة والمكاتب زمنا غير قليل.

ثم رأيت ان هذا المسلك غير مقبول لانه سيحجبني عن الخصائص الذاتية للشعب العراقي وخصائص هذا الشعب تفسر كثيرا من دقائق الادب في العصر العباسي، فانقطعت انقطاع يكاد يكون تاما عن المصريين المقيمين في بغداد، واقبلت على البغداديين اصاحبهم واصادقهم واقضي معهم ما تسمح به اعمالي من لحظات الفراغ.

وكانت حجتي ان الشعوب لاتموت، فبغداد التي غيرتها الازمان من احوال الى احوال لا بد ان تحفظ كثيرا من شمائلها الاصيلة لعهودها الذهبية، ولا بد من الوصول الى بعض الاسرار التي قضت بان ينبغ فيها كبار الكتاب والشعراء.

وما هي الا اشهر قلائل حتى كنت على صلات بمختلف الطبقات في بغداد، وحتى صححت لنفسي اخطاء كثيرة في فهم الادب والتاريخ.

وبغداد تنقسم في وضعها الحاضر الى قسمين: بغداد القديمة التي كان يعيش فيها الناس قبل التمدن الحديث، وهي مدينة جافية لمن يراها اول مرة، ولكنها جذابة جدا لمن يعرف روحها الشفاف، هي مدينة تجذب من يعرف اهلها، وهم في اكثر احوالهم على جانب عظيم من الادب والذوق ولطف الاحاسيس وكرم النفس ولن انسى طول حياتي ما لقيت في تلك الدور الجافية من عذوبة الارواح وصفاء القلوب.

كنت ادخل المقاهي في تلك المدينة القديمة فيؤذيني حرمانها من النظافة والتنسيق، ولكن قلبي يتفجر بالعطف حين اتذكر ان هؤلاء الناس قاوموا الحوادث والخطوب حتى حفظوا اصول اللغة العربية وقواعد الاسلام، وحتى استطاعوا ان يحفظوا لانفسهم وجودا خاصا بالرغم من تصاريف الزمان.

في تلك الدور الجافية نشأ ناس تغلبوا على مصاعب اخفها الاوبئة والطواعين!

في تلك الدور الجافية خلقت عواطف واحاسيس واهواء!

في تلك الدور الجافية نبغ شعراء وصفوا الحب والليل!

في تلك الدور الجافية الفت احزاب ودبرت مؤامرات غيرت وضع العراق من حال الى حال!

وكانت لتلك الدور الجافية تقاليد، اهمها الباب المفتوح للجائعين والملهوفين!

اليك ايتها الدور الجافية والى ما يعلوك من رواشن وما يحيط بك من مضايق، اليك في خشوتك التي اراها انعم من خدود الملاح اقدم تحيتي وثنائي!

اما بغداد الجديدة فتصورها الضواحي التي انشئت على النظام الحديث.

وهذه الضواحي تمتد الى افاق بعيدة على شواطئ دجلة، وفيها يعيش المياسير من اهل بغداد، هي ضواح لا تقاس الى الجيزة او مصر الجديدة او المعادي او حدائق القبة، ولكنها بالنسبة الى بغداد القديمة تعد انتقالا سريعا الى اجواء الرفاهية واللين.

وفي الاحياء الجديدة ميل شديد الى الاناقة والتنسيق، ولن تمضي غير سنين قلائل حتى تخلق بغداد كلها خلقا جديدا، بفضل ابنائها الذين يزورون مصر وغير مصر فينقلون الى وطنهم بذور الحضارة والعمران!!

×××

ليس في بغداد مواصلات سريعة على نحو ما في القاهرة او الاسكندرية، فليس فيها ترام ولا مترو وسيارات التاكسي قليلة جدا، وانما يعتمد اهل بغداد على عربات تجرها الخيل، وهناك سيارات عمومية تسمى (باسات) وهي قذرة وضيقة ولايركبها في الغالب الا الطبقة الشعبية.

والنساء في بغداد يؤثرن (الحجاب) وهو الزي الغالب على النساء المسلمات، والسفور لا يشيع الا بين نساء النصارى واليهود، على ان تلميذات المدارس من المسلمات ينتقلن رويدا رويدا الى السفور، ومن المنتظر ان يصرن بعد نحو عشرين عاما الى ما صار ليه الفتيات القاهريات ان لم تقع موجة اجتماعية تردهن جميعا الى مأثور الحجاب.

واهل بغداد لا يشربون الخمر على قارعة الطريق كما يقع في بعض الحواضر المصرية، وانما يشربونها في فنادق مغلقة الابواب، وذلك ادب مقبول.

وقد اذيعت منذ اشهر اوامر توجب ان لا تقدم الخمر في الفنادق والملاهي بعد الحادية عشرة مساء. حفظا لصحة الشعب وآدابه من التبديد.

وفي العراق مدن لايباح فيها بيع الخمر علانية، واشهر المدن في هذا المعنى مدينة النجف وهي مدينة كبيرة، ولكنها مع ذلك خالية من الملاهي والملاعب والمراقص، ولم يدخل فيها الراديو الا بعد جدال طال امده بين العلماء.

ولما زرت النجف جلست على قهوة، فلامني اخواني هناك، وقالوا: سيكتب في التاريخ ان الدكتور زكي مبارك حين زار النجف جلس على قهوة!!.

وسمعت ان احد الموظفين بالكوفة كان يشرب الخمر سرا، فلما علم الاهالي بخبره طاردوه الى ان نقلته الحكومة من هناك.

ويمكن القول بان اهل العراق في جملتهم ينكرون شرب الخمر، تشهد بذلك الحفلة التي اقامها فخامة رئيس الوزراء لاعضاء المؤتمر الطبي فلم يكن فيها شراب غير الماء القراح، ومعنى هذا ان آداب الاسلام لا تزال مرعية في تلك البلاد!

وهناك شارع مشهور يسمى (شارع ابي نواس) وكنت اظنه يشبه شارع وجه البركة في القاهرة، فلما رأيته عجبت، لانه شارع نظيف جدا يساير دجلة بحيث يمكن ان نسميه (كورنيش بغداد) وفيه قهوات لايباح فيها شرب الخمر على الاطلاق.

وانما نصصت على هذا الجانب من حياة اهل العراق لانه يدخل في صميم المجتمع، ويمثل اذواق الناس اصدق تمثيل.

وقد لوحظ اخيرا ان الفنادق التي تبيع الخمر تكثر فيها المشاجرات فاهتمت الحكومة بالامر وبثت حولها الارصاد والعيون.

ويتصل بهذا ما شهدته حين دخلت بغداد فقد عرفت ان هناك اوامر تعاقب من يفطرون علنا في رمضان، وكذلك ينقضي شهر الصوم وليس فيه مطعم مفتوح اثناء النهار، وليس معنى هذا ان اهل بغداد يصومون جميعاً، ولكن معناه انهم يراعون اداب الصيام.

وملاهي بغداد تنقسم الى قسمين: مله شرقية ومله غربية.

اما الملاهي الشرقية فتقوم على الغناء والرقص على نحو ما كنا نشهد في القاهرة منذ سنين. وقد عرفت ان البغداديين لا يسفقون حين يطربون للغناء، وهذا فيما علمت كان من اسباب الوحشة التي احسها الاستاذ محمد عبد الوهاب حين غنى هناك!

اما الملاهي الغربية فتقوم على الرقص الافرنجي، وهي ملاه قليلة جدا، لان الذهاب اليها يعد من العيوب، وهي مع ذلك تزدحم بارواد في اكثر الليالي.

ومن هذا تفهمون ان المجتمع العراقي يعاني صعوبة الانتقال من وضع الى وضع.

وما نقول به في الحكم على مدينة بغداد نقول به في الحكم على مدينة البصرة، ففيها رأيت مرقصا افرنجيا لو شهده الجاحظ لكتب في وصفه رسالة او رسالتين!!

وقد اقمت في مدينة الموصل خمسة ايام فرأيتها اكثر احتشاما من البصرة وبغداد، والسر في ذلك ان الموصل يكثر فيها النصارى فيحرص المسلمون على ادابهم اشد الحرص ليقيموا التوازن بين المذاهب ويذهبوا قالة السوء عن العقيدة الاسلامية.

×××

ويسوقنا هذا الوصف الى الحديث عن تدين اهل العراق، فهم في رأيي من اشد الامم تمسكا بالاسلام، وربما كان العراق هو الامة الوحيدة التي لا تزال تختلف وتأتلف حول المذاهب الاسلامية والاختلاف حول تلك المذاهب يوحي الى الجمهور حب التعمق في درس الاراء والنظريات.

وكذلك يعرف اهل العراق من تاريخ الخلفاء والائمة ما لا يعرف جمهور المسلمين في غير العراق. وفي العراق عدة جمعيات تهتم بنشر المعارف الدينية، منها جمعية الشبان المسلمين، وجمعية الهداية، والجمعية الاسلامية والاخيرة جمعية يديرها جماعة من فضلاء الهنود.

وعلماء الدين في العراق يحترمون أئمة الاسلام احتراما شديدا وقد يصلون في ذلك الى حد التعصب المقوت، واذكر ان جماعة منهم قاطعوا محاضراتي في بغداد بسبب كتاب (الاخلاق عند الغزالي).

ومحطة الاذاعة العراقية تصنع مثل الذي تصنع محطة الاذاعة المصرية من الاهتمام بتلاوة القرآن واذاعة الاحاديث الدينية، وهم ينظرون الى من يذكرهم بالدين والاخلاق نظر الاحترام والاعجاب وهم يتوجعون لما قد يقع بالمسلمين من سوء، تشهد لذلك مواساتهم التي لا تنقطع لاهل فلسطين.

وجملة القول في هذا الباب ان العواطف الدينية في العراق عواطف سليمة جدا، والمصلح الموفق يستطيع ان يقود العراقيين باسم الدين الى اشرف الغايات.

وهم مع تدينهم اهل مرح وطرب وانشراح، واكثرهم يجيد الغناء.

×××

بقيت كلمة عن خيرات العراق واقول انهم لم يستطيعوا الى اليوم ان ينتفعوا تمام الانتفاع بما في بلادهم من خيرات، فعندهم نهران عظيمان هما دجلة والفرات، ولكن مياه هذين النهرين يذهب معظمها الى البحر بلا رقيب ولا حسيب.

ويوم يستطيع العراق حبس مياه هذين النهرين ستنقلب سهوله الى رياض وحقول تعود على الناس بالخير العميم، ولعل ذلك قريب. وجو العراق عنيف جدا في الصيف، ولكن ينتظر ان يلطف حين تخزن مياه الانهار وتكثر المزارع والبساتين.

وانهار العراق مسمكة جدا فهم يأكلون السمك في جميع الاوقات وليست انهارهم كنهر النيل الذي يضن بالسمك فلا يراه الفلاح في العام غير مرات معدودات، وكثرة السمك في انهار العراق هي السبب في رخص اللحوم هناك!

وفي العراق يختلف الشمال عن الجنوب.

فالذاهب الى البصرة تروعه النخلات التي تعد بالملايين، والذاهب الى الموصل تبهره حقول الحنطة وهي حقول مسدودة على مسافات طوال. وفي العراق خيرات النفط الذي نسميه البترول، ولها سوق قائمة في كركوك، ويرى المسافر جذوات اللهب من مكان بعيد.

وسكان العراق هم اليوم (نحو اربعة ملايين) ولو استطاعوا تدبير الخيرات في بلادهم لول السكان الى اربعين مليونا.

واخلاق اهل العراق تدور بين الشدة واللين، فهم يسرفون في الحب، ويسرفون في البغض وهم في هذا يتبعون جو بلادهم الذي يرق فيكون نسيما، ويقسو فيكون جحيما.

ذلك ايها السادة بعض ما رأيت في العراق سقته اليكم بلا تزيين ولا تجميل، وهو يصور اهم ما يجب ان تعرفوه عن المجتمع العراقي!!

وفي المحاضرة المقبلة احدثكم عن الحياة الادبية في تلك البلاد لنرى كيف صارت اللغة وصار الادب في الامة التي رفعت لواء النهضة العلمية في عصر بني العباس.

ويسرني وانا في مصر ان اقدم التحية الى سائر اهل العراق راجيا لهم من الخيرات والبركات ما ارجوه لنفسي ولاهلي ولوطني.

حيا الله العروبة، وحيا الله الاسلام.

عن كتاب زكي مبارك في العراق

بيروت 1969

احمد زيدان

المطرب العراقي الكبير

عبد الكريم العلاف

اذا كان الغنـاء موهبـة يختص بهـا الموهوبون وفنا يعتـز به الفنانون فتلـك الموهبـة وذلـك الفن انحصـرا قبل ربـع قرن في رجـل يقطن حيا مـن احياء بغداد (الفضـل) يدعى احمـد زيدان فقد انفرد سـنين طويلة اربت على الستين حجة بالغناء العذب الشجي وكان عاشقا مع العشاق يسمعهم ترتيل القلوب بلفظة من نغم حي يرسله استرسالا بلا تكلف او تصنع وكان مجوداً بارزا مع المجودين يبعث النغم كالبلبل الصداح.

امتلك زمام فن الغناء فانقاد له فكان المجالس الذي لا يدانيه فرد واحتفظ بهذه المكانة زمانا وهو سمير الندوات ونديم ومجالس الطرب وخاصة مجالس الاعيان والسراة التي كان فيهـا الغريد لما انعـم الله عليه من صـوت رخيم وحنجة قوية وملكة على ضـبط (المقامات العراقية) التي اجـاد بهـا واتقنها اتقانـا لا نظير له في عصـره ولا في العصـور التي اعقبته.

ان ابـرز مـا جعله وحيد جيله بفن الغناء هو الاتـزان والاتقان والتنقل بمهارة فائقة من مقام الى مقام آخر بصورة تدهش السامع ويوهمه في غنائه بان مراده قد انحصـر فيه حتى اذا رسـخ ذلك في ذهنه ينتقل منه انتقالا فنيا ثم ياخذ بالتدرج حتى يعود الى ما كان عليه وهذا اسلوب لم يستطع احد من المغنين لا في عصره وعصرنا من ضبطه والاجادة به.

اخذ احمد زيدان الغناء عن اسـتاذين هما (ابو احميد وشلتاغ) وهذان مغنيان حليا جيد الغناء العراقي بدرر فنهما وكانت شـهرتهما تسـاوي شـهرة (معبد والغريض) في العصور العربية الماضية. فلقد هذبا لحنه وتوليـا امر صـوته عندما رأيا فيه توفر الصـوت العـذب والقدرة على حسن الالقاء فخلقاه بعدهما مفخرة ما بعدها مفخرة.

كانـت لاحمد زيـدان ندوة فن يختلف اليها عشـاق الغنـاء يأخذون عنه جيـد اللحن ولطيف الالقاء وهذه الندوة هي مقهى في الحي الذي نشـأ وترعـرع فيـه وتسـمى مقى (مجيد كركـر) وهي لم تـزل باقية الى الان فكانت هذه المقهى التي عجت بالعشرات من هوات الغناء اشبه بمدرسة يتلقون فيها دروس الفن.

وكان احمد هو المدرس الوحيد بها وغايته من ذلك ان لا يندثر هذا الاثر المجيد.

ومما هو جديـر بالذكر ان احد مـن اخذ عليه من المعاصـرين البارزين اليوم هو الاستاذ (رشيد القندرجي) الذي ينفرد بالمقام العراي ويجيده كمـا كان يجيده اسـتاذه الا فارقـا واحدا هو ان احمد زيـدان كان قوي الحنجرة متين الصوت بخلاف ما هو عليه تلميذه اليوم.

مات مترجمنا ومغنينا عن عمر لم يتجاوز الثمانين سنة.

والموت نقاد على كفه.

جواهر يختار منها الحان

قضـى عمره وروحه طائرة في سـماء اللهو والطرب ونفسه تواقة الى الانس والحبور وهذا المرح النفسي هو الذي جعله يهوى الفن ويعشقه والفن يعشـقه ودل بين يديه. مات ببغداد مسـقط رأسـه سنة ١٣٢٨ هـ وهو ينتسـب الى عشيرة البيات الشهيرة التي تقطن الان بجوار (جبل حمريـن) وهم يتكلمون اللغة التركية والعربية، وقد اشـتهروا بحلاوة الصوت وعذوبته.

ولما شـاع نعي الفقيد بكته بغداد بدموع غزيرة واعلنت مجالس الانس حدادها عليه واكثر ما شق نعيه على اخواننا الاسرائيليين الذين كانوا يميلون الى صـوته ويكبرون فنه وما كان يقام عرس من الاعراسهم الا وبلبله احمد زيدان الذي يعتبرون وجوده من متممات اعراسهم.

ومن اسـف الفن الذي اضـاع احمد من سـنين واعتز برشـيد اليوم ان دموعـه تـترای لي وهـي تنحدر علـى خديه منـذ الان اذا ما فقد رشـيد (لاسـامح اللـه) اذ ليـس ثمة من يحل مـكان هذا التلميذ البار باسـتاذه وبفنـه ومن بعد رشـيد يتقن المقام العراقي ويحسـن صـناعته بالوجه الذي تطمن روح الفقيد ورغبة المعاصر؟

م. منبر الاثير / ك2 – 1945

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون